بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مثبتات المؤمن والداعية على طريق الربانية

- ✓ تحفيز على الدعوة إلى الله تعالى
- ✓ شد للعزائم، للثبات على الطريق
- ✓ مثبتات إيمانية، قرآنية وسنية

ذ. الطيب ليبوركي

❖ تمـــــهـــــيـــــــد

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يقول الله سبحانه وتعالى" ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا " الاسراء 74

وقال تعالى كذلك " وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا " الفرقان 32

إذا كان الرسول ﷺ وهو سيد الدعاة إلى الله تعالى، يحتاج إلى تثبيت من الله سبحانه، فإن غيره من الدعاة أولى بهذا التثبيت، لعدم عصمتهم، ولأن الإنسان ضعيف بطبعه، يعتريه العجز والنسيان، بل والانتكاس في بعض الأحيان، لمن لم يثبته الله سبحانه، ولكي يتجنب المؤمن والداعية هذا الإنتكاس، يجب عليه الأخذ بالأسباب المشروعة، والسنن الربانية التي أودعها في كتابه العزيز، وسنة نبيه المصطفى الكريم، والتي سميناها في هذه الورقات بالمثبتات، والتي تثبت قلب المؤمن والداعية على الصراط المستقيم، وعلى طريق الدعوة إلى الله تعالى، طريق سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام، وسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وسيدنا محمد ﷺ، هذا الطريق الموصل إلى رضوان الرحمن عز وجل، فمن طبيعة سلوك هذا الطريق، كما تعلمنا من قصص الأنبياء في القرآن الكريم، ومن سيرة المصطفى ﷺ، أنه مليء بالتمحيص والابتلاء، لكن عاقبته حسنة، كما قال تعالى في سورة يوسف "إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين "، فهذا الصبر والتقوى، يحتاج إلى تثبيت من الله سبحانه، إذا استعان به الداعية وأخذ بتلك المثبتات، التي منها: مصاحبة القرآن الكريم، أو بالأحرى الحياة مع القرآن، ومنها كذلك الصلاة، والذكر والدعاء، وغيرها مما سنذكر إن شاء الله تعالى، ومما لم نذكر، كما أن عليه أن يتجنب المثبطات، التي ستقوده إلى الهاوية والإنتكاس والعياذ بالله تعالى، والتي من بينها إقتراف المعاصي والكبائر، وهجر القرآن، والغفلة والجهل وغيرها.

وهكذا يحفظ الداعية دعوته وإيمانه من جهة التثبيت، بفعل الطاعات والقربات، ويحفظها من الانتكاس، بترك المحرمات والمنكرات، فيكون بذلك عبدا صالحا في نفسه، مصلحا لغيره بدعوته، فيستحق وسام الله تعالى في قوله " رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه " البينة 8.

وسنعرض إن شاء الله تعالى، مجموعة من المثبتات التي تساهم في تثبيت الداعية على طريق الدعوة والاستقامة، والتي منها :

❖ المبحث الأول :

الـداعيـــــة والــصـــــلاة

أولا : أهمية الصلاة في حياة الداعية

قال الله تعالى " والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين " الأعراف 170 وقال تعالى كذلك " أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا" الإسراء 78

فالصلاة والقرآن، من أهم المثبتات في طريق المصلحين، وسنتحدث هنا عن الصلاة كمثبت على طريق الدعوة والإصلاح، ونؤجل الحديث عن القرآن إلى حينه إن شاء الله تعالى.

فالصلاة بطبيعة الحال، فرض من فرائض الإسلام، وركن من أركانه، فهي واجبة على كل مسلم، بله كل داعية، لكن المطلوب من الداعية ليس مجرد الصلاة، بل إقامة الصلاة، بأركانها، وشروطها، وذكرها ومناجاتها، فهي صلة بين العبد وربه، وعهد مستمر بينه وبين خالقه طيلة الحياة، منها يستمد الطاقة الإيمانية، فيناجي فيها ربه، ويتخلص بها من أوزاره، وترتفع بها درجاته، وقد قال الرسول ﷺ للصحابي الجليل الذي سأله مرافقته في الجنة " فأعني على نفسك بكثرة السجود " مسلم

دون أن نغفل عن صلاة الفجر في وقتها، فمن ضيعها فهو لما لسواها أضيع.

ثانيا : الصلاة في المسجد حرز لفريضة الصلاة

على الداعية إن أراد الثبات على استقامته قبل دعوته، المحافظة على الصلاة جماعة في المساجد، في جميع الظروف، وليبدأ بصلاة واحدة في المسجد في كل يوم، ثم يستمر إلى أن يصل إلى صلاة واحدة في البيت في الظروف الاستثنائية. فالمطلوب من الداعية خليفة المرسلين، أن يكون من السبعة الذين يظلهم الله تعالى تحت ظل عرشه يوم القيامة، ومنهم رجل معلق قلبه بالمساجد، هكذا يجب أن يكون الداعية، فالمسجد جنة المتقين الأرضية، فيها رباطهم وتسبيحهم لله رب العالمين، قال عنهم الرسول ﷺ " ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات، قالوا بلى يا رسول الله، قال

إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط " مسلم

وقال عنهم الله سبحانه وتعالى " في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب" النور 36

وقال فيهم سبحانه كذلك "واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا " الكهف 28

فصفات المذكورين في الآية :

ـ أن لهم أوقاتا يدعون فيها الله تعالى باستمرار، صباحا وعشيا، كناية على الاستمرارية.

ـ أنهم يريدون وجه الله تعالى، وفي هذه المسألة أمران: الأول أنهم يريدون بعملهم وجه الله تعالى، أي أنهم مخلصون له ولا يريدون بعملهم غيره سبحانه، والثاني أن أقصى أمانيهم ومنتهى مبتغاه، هو النظر إلى وجه الله تعالى يوم القيامة.

والسؤال المطروح، أين نجد هؤلاء الناس لنصبر أنفسنا معهم؟

لو تأملنا في أحوال الناس الجماعية، لما وجدنا إلا صنفا واحدا تتوفر فيه تلك الشروط المذكورة، وهم عمار المساجد، فلهم أوقات يدعون فيها الله تعالى بكرة وعشيا، خمس أوقات في اليوم، ولو نظرنا في مرادهم، لما وجدنا غير ابتغائهم وجه الله تعالى، فالمساجد لا يقصدها أهل الدنيا، فلا مال يوزع فيها ولا مناصب.

ذات يوم، كنت بأحد المساجد في صلاة الفريضة جماعة، فسمعت أحدهم بجواري يدعو ربه في السجود، أن يجعله من الناظرين إلى وجهه الكريم يوم القيامة، فأدركت حينئذ، أن القوم هنا، مرابطون في المساجد، كما أمرهم رسولهم ﷺ في قوله " وكثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط " فمن أراد أن يصطبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، كما أمره الله تعالى، فعليه بعمار المساجد، فذلكم الرباط فذلكم الرباط.

ثالثا : حظ الداعية من قيام الليل

يستحب للداعية أن يكون له حظ من قيام الليل، ولو ركعتين قبيل الفجر، يطيل قراءتهما وسجودهما ودعاءهما، وأحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل، ولو يوما في الأسبوع في البداية، ويستحب ليلة الجمعة أو الإثنين، وقد جاء في وصية جبريل عليه السلام للنبي ﷺ ولأمته " واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه إستغناؤه عن الناس" الحاكم

ومن أراد المزيد فعليه بسورة المزمل ويزيد الله الذين اهتدوا هدى.

❖ المبحث الثاني :

الـداعيـــــة والقـــــرآن

قال تعالى: " فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون " الزخرف 42

وقال تعالى كذلك: " أتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون " العنكبوت 45

فالقرآن والصلاة كما تشير الآية الأخيرة، من ركائز الثبات على الإيمان، والصراط المستقيم، وعلى الدعوة إلى الله تعالى، فالداعية لاينبغي له أن يقتصر على الفرائض والواجبات فقط، بل لابد له من حراستها بفضائل الأعمال ومعالي الأمور، فما يرجوه عظيم، من إرضاء الرحمن وأعالي الجنان، ولابد لنيله من عزائم الأمور، وقد قال الله تعالى لنبيه الكريم ولكل داعية إليه سبحانه " فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل " محمد 34

وقد تحدثنا عن الصلاة في المثبت الأول، وسنتحدث بحول الله تعالى هنا، عن المثبت الثاني الذي تشير إليه الآيات السالفة، ألا وهو القرآن الكريم ، وكما تشير الآية الأولى، فهو ذكر وشرف لمن تمسك به، وشغل عمره بخدمته، فهو حبل الله الممدود إلى أيدي المؤمنين، به نجاتهم وسعادتهم، وفيه أنسهم وراحة بالهم، به تطمئن قلوبهم، وبه تستنير عقولهم، فينبغي للداعية أن يشغل عمره بالقرآن، من خلال عدة أمور منها :

أولا : تعلم القرآن وتعليمه

من أشرف الأعمال على الإطلاق، تعلم القرآن وتعليمه، لقول النبي ﷺ " خيركم من تعلم القرآن وعلمه " البخاري

فينبغي للداعية قبل أن يتصدر، وقبل أن يباشر دعوته، أن يتعلم القرآن أولا، وذلك بحفظه عن ظهر قلب، على يد شيخ متقن، يأخذ بيده إلى حفظه، ثم يتعلم تجويد قراءته وبعد ذلك معانيه، فهو أعظم زاد للداعية في مواصلة دعوته، وأكبر مثبت معرفي وإيماني، لأنه يحمل جميع معاني الإسلام، ويتضمن علوما كثيرة شرعية ودنيوية، فهو ثروة هائلة من المعرفة، يحتاجها الداعية في دعوته، ليكون على حق وبصيرة، وليلتحق بركب المصطفين الاخيار، كما قال تعالى "ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا " فاطر 32

ولا يقولن قائل، إني كبرت في السن، وقد فاتني الأمر ، وهذا من تلبيس إبليس، بل يباشر التعلم والحفظ في حينه، فما تأخر من بدأ، ثم بعد أن يتعلم القرآن، يبدأ بتعليمه، ليدخل في تلك الخيرية التي وصفها الرسول ﷺ في الحديث السالف، وليبدأ بأهل بيته، ثم بمن يستطيع، فإن كان أستاذا فهذا أفضل، فيرسخ في طلبته حب القرآن، ويعلمهم ما تعلمه.

ثانيا : تلاوة القرآن ومراجعته

بعد أن يحفظ الداعية القرآن، لابد له من معاهدته ومراجعته وتلاوته وتعهده، فهو أشد تفلتا من الإبل في عقالها. فتلاوة القرآن من المثبتات على الطريق، قال تعالى: " كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا " الفرقان 32

وكما أشرنا، فإن القرآن يتضمن كل معاني الإسلام، فبتلاوته يراجع المرء تلك المعاني، فتتجدد في ذهنه، وتكون حاضرة في حياته باستمرار، ثم إن في التلاوة أجرا عظيما، ليس في غيرها من الأعمال، فبكل حرف حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، ثم إن القرآن أفضل ذكر يذكر به الله تعالى، فيكتب الداعية من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات، وهو شرف عظيم ومنزلة رفيعة، تمكن من الثبات والرسوخ في طريق الإيمان والدعوة إلى الحق سبحانه.

ثالثا : الدعوة بالقرآن وإلى القرآن

ومما ينبغي للداعية أن يقوم به ليكون من أهل الله وخاصته، أن يتخذ القرآن الكريم دعوة له، فيدعو به وإليه، قال تعالى :" وجاهدهم به جهادا كبيرا " الفرقان 52

فالقرآن كلام الله تعالى، الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد ، من قال به صدق، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم، وهو خير ما يتخذ دعوة لشموليته لكل ما دعا إليه الأنبياء والمرسلون، وفي طليعتهم رسولنا وقدوتنا محمد ﷺ، أما ما يفعله بعض المنافقين، من الدعوة إلى القرآن بمفرده، وإنكار السنة، فهو زندقة وإنكار للقرآن نفسه، وما نشير إليه هنا، هو الدعوة إلى الانشغال بالقرآن، بما هو كلام الله تعالى، والدعوة إلى كل ما تضمنه ومنه السنة،أو بالتخصص في الدعوة إلى جزء منه، على أن يتولى غيره من الدعاة ما تبقى، وسأذكر نموذجين من العلماء الربانيين المعاصرين، الذين اتخذوا القرآن دعوة لهم، فدعوا إليه، وأثروا به في خلق كثير، فجزاهم الله خيرا.

فالنموذج الأول، هو الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله، الذي ألف في ذلك كتبا كثيرة منها " مجالس القرآن " و" بلاغ الرسالة القرآنية " وبنى مشروعه على الانطلاق من القرآن إلى العمران والحضارة، ولا تكاد تسمع محاضرة من محاضراته، إلا وفيها دعوة صريحة إلى العودة إلى القرآن والانطلاق منه، فجزاه الله خيرا.

والنموذج الثاني، هو الدكتور زغلول النجار نفع الله بعلمه، الذي إتخذ من الإعجاز العلمي، والإشارات العلمية في القرآن الكريم دعوة له، يدعو بها أهل هذا العصر المنبهر بالعلم والعلوم، فألف في ذلك كتبا كثيرا منها " السماء في القرآن " و" الانسان في القرآن " و" الحيوان في القرآن " وغيرها من الكتب التي إنتفع بها خلق كثير، فجزاه الله خيرا.

فهذين النموذجين، يمثل أحدهما دعوة عامة إلى العودة إلى القرآن الكريم في شموليته والإهتداء به والتربية على أساسه، والانطلاق منه لبناء الحضارة والانسان. فيما يمثل النموذج الثاني، دعوة خاصة إلى جزئية من جزئيات المحتوى القرآني، وهي الدعوة إلى الله تعالى إنطلاقا من القرآن بلغة العصر، لغة العلم، وهي الإعجاز العلمي في القرآن الكريم. ويمكن للداعية إتخاذ هذين العالمين، وغيرهما قدوة في الاختيار بين دعوة عامة إلى القرآن الكريم، أو التخصص في الدعوة إلى جزئية من جزئياته، فيفني فيها عمره، ويؤثر بها ما شاء الله له، ولله الأمر من قبل ومن بعد، والعاقبة للمتقين.

❖ المبحث الثالث :

الـداعيـــة والعلـوم الشرعيــة

قال الله تعالى " قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب " الزمر 10 وقال تعالى كذلك " وقل رب زدني علما " طه 111

ونحن نتحدث في هذا الكتيب عن الداعية الذي يدعوا إلى الله تعالى، وهذا أمر جميل في المؤمن، وله أجر عظيم، إلا أنه من باب أولى أن يتعلم هو نفسه هذه الدعوة قبل أن يدعو إليها، وهذا هو الأمر المنطقي، وإن أشرنا في مبحث الداعية المشغول إلى توزيعه للكتب، واسترشاده بأهل الإختصاص، فهذا أمر إستثنائي، حتى لا يحرم أحد من فضل الدعوة إلى الله تعالى، وهذا لا يعفيه من قراءة تلك الكتب التي يوزها، فيستفيد منها هو كذلك، أما الأمر العزم، فهو أن يتعلم الداعية دعوته، ويتخصص فيها قبل أن يتصدر ويدعو إلى الله تعالى بحكمة وبصيرة، فالعلوم الشرعية تؤخذ من المدارس العتيقة، والمعاهد الإسلامية، ومن كليات العلوم الشرعية بتخصصاتها، والدراسات الإسلامية، وكذلك من الكتب، بعد أن تكون للداعية مهارة بسبر أغوار الكلمات في بطون الأمهات، من الكتب والمراجع.

فلابد إذا للداعية من حظ من العلوم الشرعية لينجح في دعوته، فهذا العلم الشرعي مثبت على الطريق، يبصر به الداعية المنجيات والمهلكات، والمنزلقات والمثبتات، ويبصر به كذلك طرق الدعوة الناجحة، ومداخل القلوب ومغاليقها، فهو نور ينير طريق الداعية، ويثبت أقدامه ضمن قافلة الدعاة الثابتين على جادة الطريق، ويحميه من التساقط والانتكاس، ولا شك أن ما كان هذا شأنه ، فإنه تبذل من أجله الأوقات والأموال والأعمار، حتى إذا تعلم الداعية، علم وأفاد، وقد أشرنا في البداية أن هذا الكتيب قد ألف بالدرجة الأولى لطلبة العلوم الشرعية، وخصوصا منهم الذين سيتصدرون تدريس التربية الإسلامية، ولا بأس لاستفادة غيرهم منه، لما فيه من معالم دعوية تفيدهم إن شاء الله تعالى، في الدعوة إليه سبحانه، بيسر وسهولة.

وسنورد هنا بعض الكتب، في مبادئ مختلف العلوم الشرعية، حتى يستفيد منها المبتدؤون في تعلم هذه العلوم:

✓ **التفسير**

ـ تفسير ابن كثير

ـ صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني

✓ **الحديث**

ـ الأربعين النووية

ـ رياض الصالحين للإمام النووي

✓ **السيرة النبوية**

ـ الرحيق المختوم للمباركفوري

ـ فقه السيرة لسعيد رمضان البوطي

✓ **المدخل لدراسة الشريعة**

ـ مدخل لدراسة الشريعة ليوسف القرضاوي

ـ تاريخ التسريع الإسلامي لمناع القطان

✓ **علوم القرآن**

ـ مباحث في علوم القرآن لمناع القطان

ـ مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح

✓ **علوم الحديث**

ـ تيسير مصطلح الحديث لمحمود الطحان

ـ الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لأحمد شاكر

✓ **أصول الفقه**

- الوجيز في أصول الفقه لوهبة الزحيلي
- علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف

✓ **الفقه**

- بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد الحفيد
- القوانين الفقهية لابن جزي

✓ **العقيدة**

- مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني وشروحها

وهنا أشير إلى منهجي في العقيدة، وهو أنها تكون بالممارسة والمحاكاة، لما ورد في القرآن الكريم من إشارات عقدية، خصوصا في قصص الأنبياء والصالحين، بعيدا عن جدل توجيه الصفات، فهذه العقيدة المأخوذة من القرآن الكريم، عقيدة صافية، من معين صاف زلال.

فالعقيدة إذا، ممارسة عملية، وسلوك إلى الله تعالى، وسير إليه سبحانه، أكثر مما هي قواعد تدرس عقليا وتجريديا، فهذه الممارسة العملية ترتكز على أمور منها:

1- الصلة بالله تعالى : وأبرز وسائل هذه الصلة، الدعاء، فحينما يدعو المؤمن ربه عز وجل، وينتظر الإجابة، فلا شك أنه حينما تأتيه تلك الإجابة، فهي تولد في قلبه اليقين في الله سبحانه، فقد دعوته فاستجاب لك، فهو إذا موجود حي، غني كريم معط، مدبر حكيم مسيطر، وحينما تتكرر هذه العملية بين العبد وربه، يدعو العبد فيستجيب له ربه سبحانه، لا شك أنها تورث اليقين، والطمأنينة في القلب، والمعرفة بالله تعالى، وهي أساس العقيدة الإسلامية، ولابد للمؤمن والداعية هنا، من أن يكون كيسا فطنا، ليفهم عن الله تعالى، فيعرف الدعوة المستجابة من المدخرة، ولا يتأتى ذلك إلا بمراقبة الله تعالى في تصرفاته وأفعاله، فيفهم عنه سبحانه بعض حكمه في تدبير خلقه.

2- مراقبة الله تعالى في خلقه : ومما تترسخ به العقيدة كذلك، مراقبة الله تعالى في خلقه، من إهلاك واجتباء، ومنع وعطاء، ومن أسرار السماوات والأرض، ومن الأسرار الجسدية والنفسية في الإنسان والحيوان، والطيور والنبات، والحشرات، وقد قال الله تعالى عن هذه المعرفة التي ربطها سبحانه باليقين " وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والارض وليكون من الموقنين " النعام 76.

ومما يعين على هذه المعرفة بخلق الله تعالى وتدبيره وأفعاله، قراءة كتب الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ككتب الدكتور زغلول النجار التي منها : " السماء في القرآن " " والحيوان في القرآن " " والانسان في القرآن" وغيرها، وكذلك كتب الدكتور عبد المجيد الزنداني، وغيرهم كثير ممن أفادوا في ترسيخ الإيمان، بالمقارنة بين الكتاب المنظور والكتاب المسطور، فجزاهم الله تعالى خيرا عن الأمة والمسلمين.

وختاما فبعد أن يتعلم الداعية العلوم الشرعية، يصير واجبا عليه تعليمها للناس، والدعوة إليها بحكمة وبصيرة، وبكل الوسائل المتاحة له، والتي من بينها: الكتاب الإسلامي تأليفا وتوزيعا.

❖ المبحث الرابع :

الداعـيــة ودعــوتــــه

قال الله تعالى:" ومن احسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين " فصلت 32

إنطلاقا من هذه الآية الكريمة، يمكن أن نستشف علاقة الداعية بدعوته، وكيف ينبغي أن تكون، من خلال أربعة أمور هي :

أولا :الدعوة إلى الله تعالى

فينبغي أن تكون الدعوة خالصة لوجه الله تعالى، إبتداء بالعمل لأجله، وإنتهاء بالوجهة إليه، فيريد الداعية بدعوته ما عند الله تعالى، كما أنه في نفس الوقت، يدعو الناس إلى الالتزام بشرعه وعبادته، وبالتالي فهي دعوة إلى الله تعالى إبتغاء ماعنده، فلا تكون شرقية ولا غربية، لا دعوة إلى فلان ولا إلى علان، لا إلى هذا التيار ولا إلى ذلك المسار، بل دعوة لله تعالى ومن أجل الله سبحانه.

وحينما نقول دعوة لله تعالى، فهذا يشمل كلما دعا إليه الله تعالى في كتابه، أو دعا إليه رسوله ﷺ في سنته الصحيحة، فهي دعوة شاملة للإسلام كله، ولذلك قال تعالى في آية أخرى " أدع إلى سبيل ربك " النحل 125. فكلما جاء عن الله تعالى، فهو سبيل إليه عز وجل.

ثانيا : العمل الصالح

من خلال الآية السابقة يتبين لنا أن الداعية ليس بمعزل عن الأحكام الشرعية، بل لابد له من العمل الصالح، فلا تشفع له دعوته إذا كان سيء العمل، وبالتالي فإن العمل الصالح مثبت للداعية على طريق الدعوة، فهو حمى لدعوته وصلاحه والتزامه، والعمل الصالح مفهوم شامل لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الفرائض والنوافل، فالفرائض لاعذر في أدائها، والنوافل يأتي منها الداعية ما استطاع، فكلما زاد زادت درجته وحب الله تعالى له، ومن أحبه الله تعالى فلا تسأل عن جزائه ومغنمه، وعن سعادته ورضاه، وعن توفيقه وتأثيره. ومن العمل الصالح إشتغاله بدعوة الناس إلى الله تعالى.

ثالثا : الاعتزاز بالإسلام

وهو مضمون قوله تعالى " وقال إنني من المسلمين " أي لم ينسب نفسه إلى جهة أخرى غير الإسلام، من المسميات التي أحدثها الناس لتمييز أنفسهم عن غيرهم من أصحاب الدعواة والمناهج المخالفة، ومنهم من يستسيغ ذلك بالقول: إن الكل يدعي الإسلام، ولابد من التمييز في الإسم، وهذا ليس بصحيح، فمثلا: لو كان لشخص بيت، ودخل عليه دخلاء، فادعوا ملكية ذلك البيت، فهل يخرج ويتركه لهم لأنهم يدعونه، فكذلك إسم الإسلام، لا نتركه لأن أهل الضلال والزندقة يدعنوه، خصوصا وأنه الإسم الذي سمانا الله تعالى به في القرآن، وفي غيره من الكتب المنزلة، قال تعالى " هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا " الحج 76

فالداعية يعتز باسم الإسلام ومضمونه، ويبتعد عن المسميات المبتدعة التي لا تكاد تجد لها ذكرا في القرآن ولا في كتب السنة، ومن يرغب عن إسم الإسلام إلى غيره، فقد إستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، فمن صفات الداعية إلى الله تعالى، أنه يقول إنني من المسلمين وكفى، فهذا أسلم وأغنم.

وإذ نتحدث عن الإعتزازباسم بالإسلام، فهذا ليس شعارا أجوف، بل لابد من الاعتزاز كذلك بمضمونه وجوهره، وذلك بإظهار شعائره ونصرة معالمه، والدعوة إلى أحكامه والتحلي بقيمه وفضائله، قال الله تعالى " من كان يريد العزة فلله العزة جميعا " فاطر10 وقال سبحانه كذلك " ولله العزة ولرسوله وللمومنين ولكن المنافقين لا يعلمون " المنافقون 8 وأستحضر هنا قولة عمر رضي الله عنه " نحن قوم أعزنا الله بالاسلام فمهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله".

فالداعية إذا، يعتز بالاسلام شكلا ومضمونا وإسما، ويدعو الله تعالى أن يعزه بالإسلام، وأن يتوفاه من المسلمين، مصداقا لدعاء يوسف عليه السلام" توفني مسلما وألحقني بالصالحين" يوسف، والوفاة على الإسلام وصية إبراهيم وحفيده يعقوب عليهما السلام لذريتهم:" يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون" البقرة 131 بل الوفاة على الإسلام وصية الله تعالى لعباده المؤمنين، في قوله تعالى " يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون " ال عمران 102 ونعم بالله تعالى.

رابعا : من مناهج الدعوة إلى الله تعالى

مما يعين على ترسيخ دعوة الداعية، العمل على مسارين: **الأول**: يحرص فيه على تبليغ دعوته إلى الناس، كالدعوة إلى التوحيد، وإقامة الصلاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وصلة الأرحام، وحسن الجوار، ورعاية الأيتام، والحض على طعام المساكين، وحب الخير للمسلمين، وغيرها من المواضيع المتنوعة. وأما **الثاني**: فهو العمل على تكوين الدعاة إلى الله تعالى، باجتهاده في الوسائل، وإن جاز التعبير فيمكن القول: تكوين الدعاة إلى دعوته حتى لا تنقطع بموته، فهناك عامة تستفيد من مواضيع دعوة الداعية، وهناك خاصة تستفيد من الدروس الخاصة، في وسائل الدعوة وطرقها، وأعطي نموذجا بما أشتغل عليه، من الدعوة إلى الله تعالى بتوزيع الكتب الإسلامية، ونشر القراءة، أي: " دعوة إقرأ باسم ربك، للدعوة إلى سبيل ربك " فهي دعوة شاملة، فبالقرآن وصفوة التفاسير وتفسير إبن كثير وغيرها، ندعوا إلى القرآن ومعانيه وأحكامه، وبكتاب رياض الصالحين وغيره ندعوا إلى السنة، وبكتاب الرحيق المختوم وغيره ندعوا إلى الإقتداء بالرسول ﷺ والصحابة، وغيرها من الكتب، ماشئت في المكتبة الإسلامية، فالمسار الأول في هذا النموذج، هو توزيع الكتب ليقرأها الناس، خصوصا الأطفال، فيستفيدوا من محتوياتها، وأما المسار الثاني، فتندرج فيه هذه السطور، دعوة إلى تكوين من يحمل هذه الدعوة، بتوزيع الكتب الإسلامية أو تأليفها، واتخاذ ذلك دعوة له، وقد قال رسول الله ﷺ " من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا " رواه مسلم.

والله تعالى الهادي إلى طريقه المستقيم.

❖ المبحث الخامس:

الداعيـــة والوظيفـــة الدعويـــة

قال الله تعالى " ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية " ابراهيم 39
وقال تعالى كذلك " وقالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق" الفرقان 7

تدل الآيتين على أن الأنبياء قبلنا، جعل الله تعالى لهم أزواجا وذرية، كما أنهم يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، مما يدل على إنفاقهم على أزواجهم وذريتهم، وعلى مأكلهم ومشربهم، فلم يكونوا عالة على أحد، فقد إشتغل داوود عليه السلام بالحدادة، واشتغل موسى عليه السلام أجيرا بمدين، واشتغل محمد صلى الله عيه وسلم راعيا للغنم وتاجرا في مال خديجة رضي الله عنها، فهؤلاء الأنبياء هم قدوة الدعاة إلى الله تعالى، فلابد للداعي أن يكون له مصدر رزق يقتات منه ويعول منه أهله، لا يشترط في هذا العمل إلا شرطين: **الأول**: أن يكون حلالا، و**الثاني**: أن تكون له فيه حرية الدعوة والعبادة ووقتهما، فلا يضايقه أحد، لا في دعوته ولا في عبادته.

ومما يدر دخلا كثيرا، باب التجارة الحلال، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: " نعم المال الصالح للمرء الصالح" احمد وصححه الالباني

فيمكن لكل واحد تعلم العلوم الشرعية، أن يدعو إلى الله تعالى مهما كان مركز استرزاقه، لأن الدعوة ليست حكرا على أحد، إلا أن يتعلم ما يدعو إليه حتى يكون على بينة من أمره ، وقد قال الرسول ﷺ " بلغوا عني ولو ءاية " البخاري.

كما أن الأصل في الدعوة أن تكون بلا مقابل، وقد قال معظم الأنبياء لأقوامهم: " لا أسألكم عليه أجرا " "لا أسألكم عليه مالا " هود، ولذلك وجب التمييز إعتقادا بين ما يقوم به الداعية من دعوته، وما يتقاضاه من رزق يسوقه الله تعالى إليه بسببها، وإن كان المرء يستطيع أن يعمل في مجال من المجالات، ثم يحافظ على دعوته باستمرار، فهذا جيد، لكن ما نتحدث عنه هنا، هو الوظيفة الدعوية، أي الوظيفة التي يشتغل فيها الداعية بالدعوة إلى الله تعالى، ويتقاضى على ذلك أجرا، أو يكون له دخل خاص ويشتغل بالدعوة تطوعا، وهذا ليس تحبيبا في الاجارة، ولكنه دعوة إلى إفناء العمر، وتفريغ الجهد في العمل الدعوي، والتفرغ له باستمرار.

أولا : الأستاذ الجامعي للعلوم الشرعية

من الوظائف الدعوية، الأستاذ الجامعي للعلوم الشرعية، خصوصا وأن معظم الدعاة المشهورين، إشتغلوا كأساتذة جامعيين للعلوم الشرعية، كالشيخ القرضاوي مثلا، والدكتور فريد الأنصاري، والشيخ الألباني، بل هاذا الأخير، إشتغل بمطبعة الشاويش، يحقق الأحاديث، مما جعل عمله غزيرا، رحمهم الله جميعا، وكذلك الدكتور راتب النابلسي حفظه الله.

فإن تدريس العلوم الشرعية بالجامعة، وظيفة دعوية تدر دخلا، ويشتغل فيها الداعية بدعوته، وهذا دور الوظيفة الدعوية، تثبت صاحبها على الاستمرار في دعوته، ويكتسب فيها تجربة يوما بعد يوم.

ومما يمكن للأستاذ الجامعي فعله بعد محاضراته، الإشراف على البحوث، بما يختاره من مواضيع، وقد تكون هذه البحوث مشاريع كبرى في مواضيع معينة، والأهم من ذلك كله، تكوين الدعاة إلى الله تعالى، المتخصصين في العلوم الشرعية.

ثانيا : الإمام والخطيب

ومن الوظائف الدعوية كذلك: الإمامة والخطابة، فيوظف الإمام خطبته للتوعية، والدعوة إلى الله تعالى، ودروس الوعظ والإرشاد، بل الصلاة تكفي، فهي تنهى عن الفحشاء والمنكر، فهو إذا على ثغر عظيم من ثغور الإسلام، ومن أساليب الدعوة بالنسبة للإمام، توظيف الصلوات الجهرية، لانتقاء الآيات المناسبة، لدعوة الناس إلى ما تتضمنه، فينوع في ذلك، مما يحصل به الأثر الكبير بإذن الله تعالى، بالإضافة لتدريسه للقرآن، وتعليمه للأطفال.

ثالثا : أستاذ التربية الإسلامية

ومن الوظائف الدعوية المهمة، نذكر أستاذ التربية الإسلامية، الذي يشتغل بالدعوة إلى الله تعالى في قسمه، فيربي الناشئة على التعاليم الإسلامية، ومما يجب عليه إعتقاده، أنه يحمل رسالة قد حملها قبله الأنبياء والرسل، وهذا شرف عظيم لا يحصل إلا بإخلاص النية لله تعالى، والاعتقاد أنه يعمل لنشر الولاء لله سبحانه، وألا يظن أن ما يأخذه من رزق، هو مقابل دعوته، بل كل ما هنالك، رب كريم رزاق ضمن الأرزق، وعبد وفي يعمل ولا يبتغي بعمله بديلا، عن النظر إلى وجه ربه الكريم في أعالي الجنان، أما من يظن أن مقابل عمله هو تلك الدريهمات التي يتقاضاها، فما أخس عوضه، وما أخسر تجارته، وهذا يقال في كل وظيفة دعوية، يدعو فيها صاحبها إلى الله تعالى.

قد يظن ظان أني أدعو إلى مخالفة المنهاج، وهذا غير صحيح، فالمنهاج إسلامي مليء بمادة إسلامية، تدعو بها إلى الله تعالى، ففيه العبادات، والقرآن ، والسنة والسيرة، والعقيدة وغيرها من المواضيع الإسلامية، ويمكن أن تضيف ما يفيد تلامذتك خلال الشرح، وفي الأنشطة الفصلية، وقد كان الرسول ﷺ يدعو إلى كلمة واحدة ويقول : "يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ".

بالإضافة إلى ذلك، فمما يستحسن بأستاذ التربية الإسلامية، تأسيس نادي للمادة، يدعو من خلاله إلى الله تعالى بأنشطة موازية هادفة مؤثرة، كنادي القرآن الكريم والسيرة النبوية ومكارم الأخلاق، فهو ناد إشعاعي، يمكن أن تندرج فيه كل الأنشطة الدعوية، كتفحفيظ القرآن والتجويد، وتعليم السيرة النبوية، والتربية على الأخلاق الحميدة، وإنشاء دوارات تكوينية للتلاميذ في العلوم الشرعية، وتوزيع الكتب الإسلامية في المسابقات القرائية والتنشيطية وغيرها.

رابعا : صاحب المكتبة الإسلامية

ومن الوظائف الدعوية كذلك، من يشتغل في بيع الكتب بالمكتبات الإسلامية، ورغم أن هذا العمل تجاري، إلا أنه مفيد للدعوة الإسلامية، فبه تنتشر الكتب الإسلامية، والمعرفة الدينية، يكفي إخلاص النية لله تعالى في هذا البيع، وأن يراد به وجه الله تعالى، ونشر الدعوة الإسلامية، وما قيل عن مردود الوظائف الدعوية الأخرى، يقال هنا.

ويلحق بالمكتبات الإسلامية، دور الطباعة والنشر، التي تختص بنشر وطباعة الكتب الإسلامية المفيدة، وتوزيعها على المكتبات، لتصل إلى المسلمين في كل مكان في هذا العالم، فكل ذلك وظائف دعوية، إن أخلصت النية للواحد الأحد سبحانه وتعالى.

ومن خلال ما سبق، يتبين لنا أن الوظيفة الدعوية، قد لا يعتمد عليها الداعية للاغتناء، والارزاق بيد الله تعالى، يرزقه كيف يشاء، ولكنها من المثبتات، التي تثبت الداعية على الاستمرار في العطاء الدعوي، وهذا أمر يساهم في غزارة إنتاجه، وثباته على الطريق، والله ولي المؤمنين.

❖ المبحث السادس :

الـداعيـــة والقـدوة الدعــويـــة

قال الله تعالى " وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمومنين " هود 119

فمما يثبت به الداعية، ما ثبت الله تعالى به فؤاد آخر الأنبياء والمرسلين، وهو قصص الأنبياء السابقين، وكيف دعوا إلى الله تعالى، حيث جعلهم سبحانه منارات يهتدي بهم الدعاة وغيرهم، في دروب الحياة الطيبة، المتسمة بالصلاح والإصلاح، ومما يستحب للداعية، الوقوف عند الآيات التي تتحدث عن قصص الأنبياء والصالحين وتدبرها وأخذ العبرة منها، فلكل قصة معان خاصة، وعبر متميزة، يمكن إستثمارها في دروب الدعوة إلى الله تعالى، بالإضافة إلى السيرة النبوية، وقصص الصحابة والمصلحين بعدهم من العلماء والدعاة المخلصين.

قال الله سبحانه وتعالى بعد ذكر مجموعة من الأنبياء والمرسلين " أولئك الذين هدى الله فبهداهم أقتده " الانعام 91. فالغاية من إيراد هذه القصص حسب النصين القرآنيين السابقين هو التثبيت والإقتداء، فبتلاوة هذه القصص، يثبت قلب الداعية على دعوته، وبالاقتداء بهم تكون دعوته على الطريق الصحيح الذي لا اعوجاج فيه، مستنيرا بنور الله تعالى وبوحيه وكتابه.

فالأنبياء يقتدى بهم في مناحي الحياة كلها، وعلى رأسهم قدوتنا وإمامنا محمد ﷺ، وإنما نخص بالذكر هنا، الاقتداء بهم في الجانب الدعوي، والجانب الشخصي الذي لا ينفك عن الداعية، ومن أمثلة ذلك : الاقتداء بنوح عليه السلام في طول النفس الدعوي، والاستمرار في الدعوة إلى الله تعالى مهما كانت الظروف والنتائج، والاقتداء بيونس عليه السلام، في عدم ترك الدعوة إلا لقدر قاهر، والاقتداء بإبراهيم عليه السلام في التعلق بالله تعالى، والدعوة إليه في كل مكان، والاقتداء بموسى عليه السلام في التوكل على الله تعالى رغم المعيقات، وتذكر قول الله تعالى له " لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى " طه 45 والاقتداء بالنبي ﷺ في الرحمة وحسن التخطيط، وفي كل ذلك، فهو النموذج والقدوة الدعوية لكل داعية أراد الفلاح والنجاح الدنيوي والأخروي.

هذا بالإضافة إلى قراءة سير المصلحين من الدعاة المعاصرين الذين ذاع صيتهم، وبلغت دعوتهم الآفاق والأجيال، ومن الله تعالى عليهم بالقبول، والتأثير العميق في شباب الأمة وشيبها، فمطالعة

سيرهم يحيي الهمم، ويبعث على التفاؤل بغد مشرق، يستنير بقول الله تعالى " ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون فتول عنهم حتى حين " الصافات 174

❖ المبحث السابع :

الداعية والإنفاق في سبيل الله تعالى

قال الله سبحانه وتعالى " مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم " البقرة 260

فالانفاق في سبيل الله تعالى باب عظيم من أبواب الخي، لمن أراد أن يلج من خلاله الجنة بإذن الله تعالى، فبالإضافة إلى مضاعفة الأجر المشار إليه في الآية السابقة، فللإنفاق مقاصد أخرى منها التثبيت والبركة في الرزق، قال الله تعالى " ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير " البقرة 264

فمن مثبتات الداعية على طريق الدعوة والإستقامة، ومما يبارك في رزقه وحياته، الإنفاق في سبيل الله تعالى، ولذلك أوجه كثيرة نذكر منها :

أولا : الزكاة

لا يمكن الحديث عن الانفاق التطوعي، قبل الحديث عن الزكاة المفروضة التي هي ركن من أركان الإسلام، فعلى الداعية إن كان من أهلها، أي إن توفر لديه النصاب وحال عليه الحول، أن يخرج زكاة ماله، وألا يتهاون فيها، وأن يصرفها في أوجهها المستحقة، وعكس ذلك معصية للرحمن سبحانه وتعالى.

ثانيا : الإنفاق على دعوته

من أبواب الإنفاق في سبيل الله تعالى التي تثبت الداعية، الاستمرار في الإنفاق على دعوته، فهو أعلم بمستلزماتها، وما تحتاجه من بذل مال وتضحية بالغالي والنفيس، فسلعة الله غالية، ومن ثم ينفق على الأنشطة الدعوية التي يشتغل عليها، كشراء الكتب والمصاحف وتوزيعها كجوائز أو غيرها، وتوزيع الأشرطة، أو الإنفاق على الجمعية والحركة والمدرسة، وعلى طلبة العلم، وأداء أتعاب منشطي الدعوة، ومعلمي الأطفال القرآن والتعاليم الإسلامية، وعلى العموم كل ما يمكن أن تنتفع به الدعوة

الإسلامية، فيجب الانفاق فيه قدر المستطاع، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها، هذا مما يثبت الداعية ويربطه بشؤون دعوته باستمرار.

ثالثا : الإنفاق على الإطعام

من أبواب الإنفاق في سبيل الله تعالى الذي جاءت فيه آيات كثيرة وأحاديث وفيرة، باب الإطعام والحض على طعام المسكين، بل وجاء فيه وعيد شديد لمن لا يهتم به، قال تعالى " في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين " المدثر 43 وقال تعالى كذلك " كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحضون على طعام المسكين " الفجر 20

فمما يثبت الداعية ويبارك في عمله وإنتاجه، إطعام المسكين والحض على إطعامه، وهذا باب خير عظيم، ومما جاء في الترغيب في الإطعام قوله تعالى " ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا " الانسان 12

هذا جزاء الاطعام، جنة وحريرا، وهو عمل سهل يسير، كل قدر استطاعته، والمساكين في كل مكان، من مدارس عتيقة، وجمعيات خيرية، وطلبة علم، يجتمع في وصفهم المسكين وابن السبيل، بالإضافة إلى فقراء الأهل والأقارب وعموم المسلمين، فأبواب الخير كثيرة، والأجر لا يستهان به، إنه جنة وحرير، نسأل الله تعالى ألا يحرمنا هذا الأجر الجزيل.

كما أن الاطعام مطلوب بشكل عام، وإن كان لغير المسكين، فقد حث عليه الشرع ورغب فيه، قال ﷺ " أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام " الترمذي حسن صحيح

بل ذهب الإسلام أبعد من إطعام بني الإنسان فحسب، فرغب في إطعام كل ذي كبد رطبة من مخلوقات الله تعالى من طير أو دواب، قال ﷺ " في كل كبد رطبة أجر " البخاري وقد غفر الله تعالى لزانية في سقيها لكلب عطشان، كما عذب امرأة في هرة حبستها، فلم تطعمها ولم تتركا تأكل من خشاش الأرض، وكل هذا جاء في الآثار عن نبينا ﷺ.

رابعا : الإنفاق على مسجد الحي

فالداعية لا ينفصل عن مجتمعه الذي يعيش فيه، والذي يعتبر المسجد مركزه، وقد أشرنا في باب الداعية والصلاة، أن الداعية يحافظ على صلاة الجماعة في المسجد، وهذه المساجد لا تقوم إلا بالإنفاق عليها، من شرط، وإنارة، وماء، وتوسيع، وفراش، وكل ذلك يستدعي من الداعية التعاون على البر والتقوى، والإعانة على إقامة الصلاة التي لا تقام بدون ذلك الإنفاق، فعلى الداعية أن يلتزم مع جمعية المسجد أو الجماعة بقدر من المال ولو بالشرط، كل في مسجد حيه، حتى يدخل الجميع في عمار المساجد الذين مدحهم الله تعالى بقوله " إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين " التوبة 18

هذه بعض أبواب الإنفاق في سبيل الله تعالى وغيرها كثير، إنما القصد أن الإنفاق باب عظيم يثبت الله تعالى به من يشاء من عباده، ويربيه به على محاسن الأخلاق، ويخلصه من مساوئها، وقد قال الصحابة الفقراء للنبي ﷺ " ذهب أهل الدثور بالأجور" يقصدون الإنفاق، فمن آتاه الله تعالى مالا ينفق منه، فليحمده سبحانه على هذه النعمة العظيمة ، فلله الحمد في الأولى والآخرة.

❖ المبحث الثامن :

<u>الداعية والتوكل على الله تعالى</u>

قال الله تعالى " ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا " الطلاق 3

فالتوكل على الله تعالى، هو إعتماد القلب عليه سبحانه، مع بذل الأسباب المشروعة والمستطاعة لنيل المراد، فلا الأسباب تحققه دون إذن المولى عز وجل، ولا هي تمنعه إذا أذن فيه الحق سبحانه، فالتوكل إذن عمل قلبي ، ولكي ينجح الداعية في حياته الشخصية والدعوية، لا بد له من التوكل على الله تعالى، إقتداء بالأنبياء قبله ، فالله سبحانه هو مسبب الأسباب، والمانع المعطي، وإنما يقول للشيء كن فيكون، وإنما المحروم من أعرض عن الذي بيده كل شيء، وأقبل على من ليس في يده شيء.

فسر نجاح الداعية وثباته على طريق الدعوة، هو صدق توكله على الله تعالى، والالتجاء إليه في السراء والضراء، وسنقارب هذا الموضوع من خلال أمرين إثنين: **الأول** هو توكل الداعية على الله تعالى في أموره الشخصية والحياتية، و**الثاني** هو توكل الداعية على ربه سبحانه في أمور دعوته، من

أجل نجاحها وبلوغها الآفاق والأجيال، وسنورد بحول الله تعال لكلا الأمرين أمثلة من حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

أولا : توكل الداعية على الله تعالى في أموره الشخصية

فالداعية إنسان، عبد من عباد الله تعالى، له حاجيات، وله مخاوف كغيره من الناس، لا يصل إلى حاجياته إلا بإذن الله تعالى، ولا يأمن مخاوفه إلا بإرادة المولى عز وجل، ولذلك فأقصر طريق للوصول إلى هذه الحاجات، وتجنب تلك المخاوف، هو الإعتماد على الله تعالى، والتوكل عليه حق توكله.

وقد سبقنا الأنبياء في هذا الطريق، فاعتمدوا على الله تعالى في أمورهم الشخصية والعائلية، وقد خلد القرآن دعواتهم، كما خلد وفاءه سبحانه لهم بوعده، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

✓ **الرسول محمد ﷺ**

فقد توكل على الله تعالى، فيسر الله تعالى أمور حياته، وقد ذكر بعضها في سورة الضحي، حيث، قال تعالى" ولسوف يعطيك ربك فترضى ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى " فالرسول ﷺ من أبرز نماذج التوكل على الله تعالى، التي يجب أن يقتدى بها في جميع الجوانب.

✓ **أيوب عليه السلام**

فقد توكل على الله تعالى حق توكله، فرغم مرضه لمدة طويلة، ظل متمسكا بدينه آملا في فرج الله تعالى، قال سبحانه " وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا ذكرى للعابدين" الانبياء 83

فقد شفاه الله تعالى بعد مرضه، وأصلح حياته بعد أعوام من الإبتلاء، فاستحق ثناء الله تعالى عليه في قوله " إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب" ص 43

✓ **إبراهيم عليه السلام**

فقد توكل على الله تعالى في كل حياته، ومن ذلك سؤاله الله تعالى الولد الصالح، حيث دعا الله تعالى فقال " رب هب لي من الصالحين" الصافات 100 وقال إبراهيم عليه السلام بعد أن إستجاب الله تعالى له " الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء " ابراهيم 41

✓ **زكرياء عليه السلام**

هو كذلك توكل على الله تعالى في كل حياته، ولما سأل الله تعالى الولد، استجاب الله سبحانه لدعائه، قال تعالى "وزكرياء اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين " الانبياء 88

✓ **موسى عليه السلام**

فقد توكل على الله تعالى، فخرج من مصر خائفا من فرعون، وقال " عسى ربي أن يهديني سواء السبيل " القصص 21 فنجاه الله تعالى إلى مدين، ويسر له سبل الحياة الكريمة فيها، من زواج وعمل وأمن ورفقة صالحة.

✓ **يوسف ويعقوب عليهما السلام**

فقد إفترقا بكيد إخوة يوسف، وصبرا وتوكلا على الله تعالى كل في مكانه، فيعقوب عليه السلام، ينتظر عودة ابنه لسنوات طويلة ولم ييأس، ويوسف عليه السلام، توكل على الله تعالى فنجاه الله تعالى من كل مكروه، وجعله عزيز مصر، بصبره وتوكله على الله تعالى، ورتب له لقاءه بأبيه وأمه، في عزة وكرامة، وسورة يوسف كلها تتحدث عن هذين النبيين الكريمين وصبرهما إلى أن فرج الله تعالى عنهما.

✓ **يونس عليه السلام**

فقد إلتقمه الحوت، فأصبح في ضيق وغم، فتوكل على الله تعالى فنجاه سبحانه، قال تعالى " وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننج المومنين" الانبياء 86

فالداعية إذن، يجب عليه أن يتوكل على الله تعالى في كل أمور حياته، من دراسة، وعمل، وزواج، وأبناء ، ورزق، وصحة، وعبادة، فصلاح هذه الأمور من عدمه، إنما يتوقف على إذن الله تعالى، فعليه يتوكل المتوكلون، وإليه يلجأ الملتجؤون.

ثانيا : توكل الداعية على الله تعالى وانتصاره الدعوي

مما يستحب للداعية إلى الله تعالى بعد أن يحدد هدفه من الدعوة، ويحدد معالم دعوته، ومبادئ عمله، أن يتوكل على الله تعالى في كل أمور دعوته، ويستجير به سبحانه لينال مرضاته، فهذا هو طريق نجاح الدعوة، وهذا هو طريق الأنبياء قبلنا، التوكل على الله تعالى، فبيده مفاتيح كل شيء، وإنما يقول للشيء كن فيكون.

والملاحظ لسير الأنبياء والمصلحين في علاقتها بالانتصار الدعوي، يجد أن هذا الانتصار لا يأتي إلا بعد جهد في الدعوة إلى الله تعالى، مع السعي إلى كمال التوكل عليه سبحانه، وبالتحديد في الوقت الذي يستيئس فيه النبي والمصلح والداعية من انتصار دعوته، أو في اللحظة التي تكون فيها كل الأسباب ضده، ولصالح عدوه، أو عندما يكون عدوه على وشك القضاء عليه وعلى دعوته، في تلك اللحظة تقلب الموازين لصالح الداعية، ويتحقق إنتصاره الدعوي، بإرادة الله تعالى وحده وبمشيئته، وفي هذا يقول الله تعالى " حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فننجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين " يوسف 110

وقد يقدر الله تعالى على النبي او المصلح الاستشهاد، وقلة الأتباع، وهذا لا ينافي القاعدة، إذ الغاية نيل رضى الله تعالى، وأكبر انتصار للداعية، هو أداء الأمانة وتبليغ الرسالة بصدق، والأجر عند الله تعالى، وفي هذه الحالة قد تنبعث دعوة الداعية بعد استشهاده بقرون، فتؤتي ثمارها، وتحقق غاياتها، وخير مثال على ما قلنا، نبي الله زكرياء عليه السلام وابنه يحيي عليه السلام، وكل أنبياء بني إسرائيل

الذين قتلهم اليهود عدوانا وظلما، فخلد الله تعالى ذكرهم في القرآن، وجعلهم منارات يهتدي بهم المؤمنون من بعدهم.

وفي عدم انتصار الداعية في حياته يقول الرسول ﷺ :" عرضت علي الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد " متفق عليه

وهذا لا ينقص من قيمة النبي والداعية، أن لا يكون معه أحد، لأن الوظيفة هي البلاغ فحسب، ومابعد ذلك لله تعالى، وهذا إستثناء من قاعدة الانتصار الدعوي، إن لم يكن إنتصارا في حد ذاته.

والانتصار الدعوي، بعد التوكل على الله تعالى على ماذكرنا، له نماذج كثيرة من سير الأنبياء والمرسلين، نورد منها ما يلي:

- ✓ **الرسول ﷺ في غار ثور**

قال تعالى " إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم " التوبة 40

في هذه الحادثة، يتجلى لنا ما ذكرنا، فقد وصل الكفار إلى غار ثور، وكان بالامكان القضاء على النبي ﷺ وعلى الدعوة الفتية، فقد انتهت كل الأسباب، لكن ربك يشاء أمرا آخر، وهو أن يكون هذا الحدث، بداية لتأسيس الدولة الإسلامية، والأمة الإسلامية، وبلوغ الإسلام ما بلغ الليل والنهار.

- ✓ **المسلمون في غزوة الخندق**

قال الله تعالى " يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا إذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم وإذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المومنون وزلزلوا زلزالا شديدا " الاحزاب 9

في هذه اللحظة التي أحاط فيها المشركون بالمسلمين، واشتد فيها عليهم الحصار، وانتهت الأسباب الأرضية، جاءت جنود من عند الله تعالى، وريح قوية، فانقلبت الموازين لصالح المسلمين، وغادر

المشركون المدينة في ذلة وصغار، وتحولت المعركة من مهاجمة المشركين للمسلمين إلى العكس، ولذلك قال ﷺ " الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير إليهم " مسند أحمد

✓ **موسى عليه السلام وفرعون لعنه الله**

قال الله تعالى " فلما تراء الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وأزلفنا ثم الآخرين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين " الشعراء 61

نلاحظ من هذه الآيات أمرين أساسيين، وهما فحوى ما ذكرنا، **الأول** : توكل موسى عليه السلام على الله تعالى، وذلك رغم أن فرعون وجنوده قد وصلا إليهم، لازال قلبه معلقا بالله تعالى، ودليل ذلك قوله كلا إن معي ربي سيهدين، فهو موقن من وعد الله تعالى، رغم محاصرة الجنود له من جهة والبحر من جهة ثانية، وهذا عين التوكل، فمهما كانت الأبواب مغلقة يبقى باب الله مفتوحا لأوليائه، فلله الحمد في الأولى والآخرة. الأمر **الثاني** هو أنه في اللحظة التي وصل فيها فرعون إلى القضاء على موسى ومن معه، جاء النصر الدعوي، فنجى الله تعالى موسى عليه السلام ومن معه، وأغرق فرعون وجنوده.

✓ **نبي الله صالح عليه السلام**

قال الله تعالى " وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ماشهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم إنا دمرناهم وقومهم أجمعين " النمل 50

تدل الآيات على أنه في اللحظة التي إتفق فيها قوم صالح على قتله، جاءه النصر الدعوي، فأهلك قومه إلا من كان فيهم من المؤمنين، وهذه السنة التي أقرتها الآيات السابقة، لها أمثلة كثيرة في نصوص الوحي غير ما ذكر، ومن الأمثلة كذلك، نبي الله نوح عليه السلام، ولوط عليه السلام وغيرها كثير.

فمن أسلحة الداعية إذا، ومن وسائله التي يستجلب بها نصر الله تعالى، التوكل عليه، مع العمل على اتخاذ كل الأسباب الممكنة، للتمكين لدعوته، وإبلاغها للخلق أجمعين، وإن الله لهاد الذين آمنوا

إلى صراط مستقيم، وإن نصر الداعية إلى الله تعالى إذا صدق ربه، آت لا محالة، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

❖ المبحث التاسع :

الـداعيـــة وذكـــر الله تعـــالـــى

قال الله تعالى " يا أيها الذين آمنوا أذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمومنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما " الأحزاب 44/41.

فذكر الله تعالى، أمر به الشرع الحكيم، وحث عليه في آيات وأحاديث كثرة، بل لم يقتصر على الأمر به فحسب، بل أمر بالإكثار منه، دون تحديد لحد هذا الإكثار، لترك المجال لطاقات المؤمنين، كل حسب استطاعته، ورغبته، وعزيمته، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، ويستوي في الحاجة إلى ذكر الله تعالى كل المؤمنين، سواء الدعاة أو غيرهم، فذكر الله تعالى حصن حصين، وطمئنينة وأمن وسكينة، فهو زاد المؤمن الذي لا يفارقه، وهو في حق الداعية أكثر تأكيدا، وهو أشد إليه حاجة، ليكابد عقبات التبليغ، ومسؤوليات الدعوة، مهما بدت يسيرة.

قال الله تعالى " الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذر الله تطمئن القلوب " الرعد 29

أولا : ذكر الله تعالى أفضل الأعمال في الإسلام على الإطلاق

فالمتأمل في أعمال الإسلام، يجد أن أعظم الأعمال على الإطلاق في هذا الدين العظيم،هي ذكر الله تعالى، وإن كان ذروة سنامه الجهاد في سبيل الله تعالى حينما يتعين، وهذا بنص حديث من لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، قال ﷺ " ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم، قالوا بلى، قال ذكر الله تعالى " صحيح رواه مالك والترمذي وأحمد

ففي الحديث جعل الرسول ﷺ خير الأعمال ذكر الله تعالى، ففضله على الجهاد في سبيل الله تعالى، وعلى إنفاق الذهب والفضة في أوجهها الشرعية، مما يدل على مكانة الذكر في الإسلام، وهذا ليس تقليلا من قيمة الجهاد في الإسلام، فهو ذروة سنامه، وبه تصان حرماته، ولكن، لأن الذكر نوع من الجهاد في فترة أمان الأمة، فبه تقام شعائره، بل إن الصلاة، وهي أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة،

إنما هي ضرب من ذكر الله تعالى، تسبيحا وتكبيرا وتهليلا، وقد سماها الرسول ﷺ بالرباط، وهو مكان الإلتحام بالأعداء، قال عليه الصلاة والسلام: " ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات، قالوا بلى يارسول الله، قال : إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط فذلكم الرباط " رواه مسلم، بل أمر الله تعالى بالذكر الكثير، أثناء الجهاد في سبيل الله تعالى، وجعله أحد أسباب الثبات والنصر والفلاح، حيث قال تعالى " يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون" الأنفال 46.

وأختم هذه النقطة، بحديث لرسول الله ﷺ، يبين فيه سبق الذاكرين لله تعالى، حيث قال عليه الصلاة والسلام :" سبق المفردون ، قالوا وما المفردون يا رسول الله، قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات " رواه مسلم، مما يدل على رفعة مكانة الذاكرين، وعلو منزلتهم عند الله تعالى، وأنهم على خير كثير، لا يعلم حده إلا الله تعالى.

ثانيا : ذكر الداعية ربه آناء الليل وأطراف النهار

فممن لا يستغني عن ذكر الله تعالى، الدعاة إليه سبحانه، فهم بمنزلة المجاهدين، بل هم كذلك، لمن خلصت نيته في الدعوة إلى الله تعالى، فبه يتقوى على متاعب الطريق، بل يستلذها في خدمة الله تعالى، ولذلك، فمما يستحب للداعية إلى الله تعالى، ألا يفارقه ذكره لمولاه، قال عليه الصلاة والسلام، للصحابي الذي شكى إليه كثرة شعائر الإسلام، وطلب منه أمرا يتشبث به في الإسلام، قال: " لا يزال لسانك رطبا بذكر الله " صحيح رواه الترمذي.

والمطلوب هنا نوعية الذكر، واستمراره في الزمن، لا بتكرار عدد معين، والقلب غافل مشغول، والمطلوب أن يذكر الداعية ربه في نفسه وبلسانه، فيتذكر نعمه وآلاءه، فيشكره ويحمده، ويسبحه ويمجده ، ويتذكر ذنوبه وأمانته التي تحملها، فيستغفر لذنبه وعجزه وتقصيره، قال الله تعالى :" واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين " الأنفال 105 وقال تعالى كذلك " واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار " آل عمران 41.

ثم إن ذكر الداعية ربه بكثرة، سبب لأن يذكره الله تعالى في من عنده من الملإ الأعلى، ودليل ذلك قوله سبحانه :" فاذكروني أذكركم واشكر لي ولا تكفرون " البقرة 151 وأي شرف أعظم من أن

يذكرك الله سبحانه في من عنده، وهو رب الوجود كله، ورحمن السماوات والأرضين، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

إن ذكر الله تعالى هو دأب الصالحين، وطريق المتقين، ومنهج الأنبياء والمرسلين، والملاحظ لسيرهم في القرآن الكريم، يجدهم دائمي الذكر لله تعالى، حسب الأحوال، وهكذا يجب أن يكون الداعية، دائم الإتصال بالله تعالى، فتارة يذكر ربه تسبيحا وتكبيرا وحمدا وشكرا، وتارة يدعو بحاجاته، وحاجات أمته ودعوته، وتارة يناجي ربه سبحانه فيشكو له أو يثني عليه، وتارة يتفكر في مخلوقاته وأفعاله وصفاته، وحكمه في خلقه، وبذلك يعيش دائما في ذكر الله تعالى وحفظه، ومعيته، وتوفيقه، فيكون بذلك وليا من أولياء الله تعالى، وجنديا من جنوده، إذا دعاه أجابه، وإذا ستنصره نصره، وما يعلم جنود ربك إلا هو، ومن كان لله تعالى جنديا، كان الله سبحانه له ناصرا ومعينا.

ثالثا : تسبيح الداعية ربه عز وجل

نفرد التسبيح بالذكر هنا من بين أصناف ذكر الله تعالى، لأهميته وفضله، فكل الكائنات تسبحه عز وجل ، كما قال سبحانه " يسبح له السماوات السبع والارض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا " الاسراء 44. فالداعية ينخرط في حركة هذا الخلق العظيم، من السماوات والارض والكائنات كلها، التي تسبح مولاها ليلا ونهارا دون كلل ولا ملل، وقد ذكر الله تعالى ذلك عن نبيه داوود عليه السلام، حيث قال عز من قائل " وسخرنا مع داوود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين " الانبياء 78

وقد يكون التسبيح علاجا للهم، ولما يلاقيه الداعية في طريق دعوته وحياته من عراقيل، حيث أوصى الله تعالى خير الدعاة بالتسبيح والسجود عندما يلاقي ما يكره، حيث قال سبحانه " ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين " الحجر 97.

وقد يكون التسبيح حمدا لله تعالى عند مجيء النصر وتمام النعمة، قال تعالى " إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا " سورة النصر.

ومما يسهل التسبيح على الداعية، أنه كلما ذكر إسم الجلالة، أو أي إسم من أسماء الله الحسنى، قال سبحانه وتعالى، ويعود على ذلك لسانه، على غرار الصلاة على الرسول ﷺ، ويدعو إلى تسبيح الله تعالى عند ذكر إسمه، فالملاحظ مثلا في المساجد، أنه إذا ذكر رسول الله ﷺ يوم الجمعة، يعج المسجد

بالصلاة عليه، وهذا جيد، لكن في المقابل، إذا ذكر الإمام الله سبحانه وتعالى، لا تكاد تسمع احدا يسبحه، وهذا ليس في المسجد فحسب، بل في كل مناحي الحياة، فعلى الداعية على غرار تسبيحه لله تعالى، أن يدعو غيره إلى التسبيح، على الأقل، حين يسمع إسما من أسماء الله تعالى ذكر عنده، وقد قال تعالى في كتابه " سبح إسم ربك الأعلى " الأعلى، و قال كذلك " فسبح باسم ربك العظيم " الواقعة 77، وقال عز وجل " وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم " الحج 32 وهذا من شدة حبهم لله تعالى، "والذين آمنوا أشد حبا لله " فهكذا يجب أن يكون الداعية عند سماع إسم ربه عز وجل، فيسبحه، ويمجده، ويستبشر به خيرا. " إن هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم ".

❖ المبحث العاشر :

الـداعيــة ومنـاجــاة الله تعـالـى

قال الله تعالى " فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب " الشرح

وقال تعالى كذلك " واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا " المزمل 7

فمناجاة الله تعالى، هي مخاطبته سرا، والاستغراق في الحديث معه سبحانه، والحكي له عن كل ما يجد الانسان في هذه الحياة، فالمناجاة إذن، تشمل عدة عبادات، وهي الدعاء، والحمد والشكر، والثناء الحسن عليه عزوجل، بالإضافة إلى حكي الآلام والهموم، والتعبير عن الفرح والسرور بنعم الله تعالى، وبما أسبغه من آلاء، ومنحه من مكرمات، وبما دفعه من مصائب، ووقاه من مدلهمات، إنه نعم المناجى، ونعم النصير والمولى، سبحانه وتعالى. والمناجاة عبادة جليلة، يغفل عنها الكثير من الناس، فهي وسيلة للأنس بالله تعالى، وسبب لتفريج الهموم والكربات، حيث يستغرق المؤمن في الحديث مع الله تعالى الذي يحبه، ويؤثره على كل شيء، فالمناجاة تزداد حلاوتها حين ما تكون مع المحبوب، ولا محبوب أحب إلى المؤمن من ربه عز وجل، وقد قال تعالى " ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله " البقرة 164. والمناجاة ليس لها وقت محدد، بل يجب أن يكون المؤمن دائم الإتصال بربه سبحانه، كلما غفل، تذكر فأبصر.

ولنا في الأنبياء قدوة حسنة، إذ كانوا يناجون ربهم في كل وقت وحين، ويشكون إليه ما يجدون من متاعب الحياة، وأعباء الدعوة والتبليغ، وسنورد هنا إن شاء الله تعالى، أمثلة لمناجاة بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لربهم عز وجل، وهي كالآتي:

أولا : مناجاة موسى عليه الصلاة والسلام

من أكثر الأنبياء الذين عرفوا بمناجاة الله تعالى، بل والكلام معه سبحانه وتعالى حقيقة، كليم الله موسى عليه السلام، قال تعالى " وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا " مريم 52، وقد سجل القرآن هذا الحوار، الذي دار بين موسى عليه السلام وربه عزوجل، عندما عاد موسى عليه السلام من مدين إلى مصر، وأرسله الله تعالى إلى فرعون عليه لعائن الله، وسنورد بعض هذا الحوار، لنستشف منه أدب المناجاة وطريقتها.

قال الله تعالى" وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مئارب أخرى " طه 17، يتبين من خلال الآية، أن موسى عليه السلام، إستغرق في الحديث مع الله تعالى وأطال الكلام، لأنه إستأنس به عز وجل، وهكذا يجب أن تكون مناجاة المؤمن، فقد كان بإمكان موسى عليه السلام، أن يقول هي عصا، لكنه إستطرد ليناجي الله تعالى، ويحكي له، وقد أضمر أشياء أخرى ولم يذكرها، تأدبا مع الله تعالى، وأشار إليها بقوله "ولي فيها مئارب أخرى"، وهي كالدفاع بها عن نفسه مثلا، لأن الله تعالى هو من يدافع عنه حقيقة، وهذا من أدبه عليه السلام مع ربه سبحانه، ونذكر هنا كذلك إضمار نبي الله أيوب عليه السلام للدعاء، حيث ناجى ربه، ولم يفصح عن الدعاء تأدبا مع الله تعالى، حيث قال " إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين" والدعاء هو الشفاء، فاستحاب الله تعالى له وشفاه، ونبي الله يونس عليه السلام، حيث إعترف بالذنب وأضمر الدعاء فقال " لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين " والدعاء هو النجاة من بطن الحوت، فاستجاب الله تعالى له فنجاه.

نعود إلى تتمت مناجات موسى عليه السلام مع ربه عز وجل، حيث قال تعالى حكيا عن موسى عليه السلام " قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من اهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا إنك كنت بنا بصيرا قال قد أوتيت سؤلك ياموسى ولقد مننا عليك مرة اخرى " طه 36، فهنا يتبين لنا أن موسى عليه السلام ناجى ربه حقيقة، حيث دار بينها حوار حقيقي، فيه قول وجواب، حيث قال تعالى: " وكلم الله موسى تكليما " النساء 163.

غير أن المناجاة التي نتكلم عنها هنا، تأتي من العبد المؤمن إبتداء، وعليه أن يعتقد أن الله سبحانه وتعالى يسمعه ويراه، ويعلم ما يناجيه به، فهو الذي يعلم خفايا النفس، وما تحكي الصدور.

ثانيا : مناجاة نوح عليه السلام

من الأنبياء والرسل الذين سجل القرآن الكريم مناجاتهم لله تعالى، نبي الله نوح عليه السلام، حيث ناجى ربه وحكى له ما يلاقيه من قومه من إعراض عن دعوته، ونفورهم من عبادة ربهم عز وجل، وقد قلنا بأن المناجا هي حكي لله تعالى، وقد تشمل الدعاء والثناء، وهو ما صنعه نوح عليه السلام، حيث قال مناجيا ربه كما حكى عنه القرآن في سورة سميت باسمه، سورة نوح، قال تعالى " قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي إلا فرارا وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ثم إني دعوتهم جهارا ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا " ثم قال سبحانه: " قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا ومكروا مكرا كبارا " سورة نوح

فتأمل أخي الحبيب، كيف أن نوح عليه السلام، وهو قدوة الدعاة إلى الله تعالى، لجأ إلى ربه سبحانه، يحكي له إعراض قومه عن دعوته، ويرجو منه السند والمعونه، وهذا ما يجب على الدعاة أن يألفوه في حياتهم، وهو صدق الاتجاء إلى الله تعالى، في كل وقت وحين، فلا يوجد ما لا يحكى لرب كل شيء، ولا يوجد عبد مؤمن يمكن أن يستغني عن سنده الرئيسي، وهو ربه الذي يعبده في كل وقت وحين.

ثالثا : مناجاة زكرياء عليه السلام

من المناجاة التي سجلها القرآن كذلك، مناجاة نبي الله زكرياء عليه السلام لربه سبحانه، وهو يحكي له ضعفه وشيخوخته، وخوفه على مستقبل دعوته، حيث قال عنه تعالى " ذكر رحمة ربك عبده زكرياء إذ نادى ربه نداء خفيا قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا " بداية مريم.

من خلال الآيات، يتبين لنا أن زكرياء عليه السلام، إستغرق في الحكي مع الله تعالى، ثم دعاه دعاء لطيفا، فهو يعلم أن الله سبحانه يعلم أنه قد شاخ، وأن امرأته عاقر، لكنها لذة المناجاة مع الله سبحانه، حيث لا خسارة، بل كلها فوز، وأي فوز أعظم من مناجاة ملك الملوك سبحانه، فأبشر ثم أبشر.

رابعا : مناجاة الرسول محمد ﷺ

مما حكته السنة النبوية عن مناجاة الرسول ﷺ ربه عز وجل، ما جاء عند رجوعه من الطائف، بعد إعراض أهلها عن دعوته وإيذائه، حيث قال ﷺ " اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلت حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والاخرة، أن ينزل بي غضبك، أو يحل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك" رواه الطبراني وابن هشام.

فهذا رسول الله ﷺ، يشكو إلى ربه عز وجل ما حدث له في الطائف، من طرف أهلها من إعراض ونفور، وما لاقاه قبل ذلك من قريش، فلم يجد ملاذا إلا الكريم العظيم، ولي المؤمنين، وناصر عباده المتقين، فواساه الله تعالى بمعجزة الإسراء والمعراج، ويسر له بعد ذلك ما أراده في الطائف، بعد أربع سنوات، في المدينة المنورة، وذلك باستجابة الأوس والخزرج لدعوته، وبذلهم الغالي والنفيس من أجل نصرته، وهذا حال المتوكل على الله تعالى، قد يبتليه، ولكنه ناصره لا محالة، وهو القائل سبحانه: " وكان حقا علينا نصر المومنين " الروم 46.

ومن مناجاة الرسول ﷺ التي ذكرها القرآن قوله تعالى " وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا " الفرقان 30.

فالرسول ﷺ، دائم المناجاة لربه عز وجل، فهو سنده الرئيسي، وملاذه الآمن، وركنه الشديد، الذي يأوي إليه في السراء والضراء، فلا تزيده النعم إلا شكرا، ولا تزيده البلايا إلا صبرا، فﷺ في كل وقت وحين.

خامسا : مناجاة الداعية لربه عز وجل

من محاسن الأعمال التي يستحب للداعية إلى الله تعالى الحرص عليها، إقتداء بالنبي ﷺ وبالأنبياء قبله، مناجاة الله تعالى، فقد كان أول ما بدأ به عليه الصلاة والسلام هذه المناجاة، وذلك في غار حراء قبل البعثة، واستمر عليها في قيام الليل بعد البعثة، وكان يخرج إلى الفلوات، وينظر إلى السماء مناجيا ربه، وذلك طيلة حياته عليه الصلاة والسلام، حتى قال تعالى في حقه،" قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها " البقرة 143.

وهذا ما يجب أن يكون عليه حال الداعية إلى الله تعالى، أن يكون له وقت فراغ يناجي فيه ربه، فيكون دائم الاتصال به سبحانه، ودائم الاستعانة به، فيخرج إلى الفلوات وحيدا، يأنس بربه، خصوصا بين العشاءين، أو بعد صلاة العشاء، حيث تنتشر السكينة، وتصفو السماء، فيناجي ربه بلاحدود ولا قيود، فهو الذي لا يمل من سماع عباده المؤمنين، ولا تكثر عليه المسائل، وهو القادر على كل شيء سبحانه وتعالى، فيطلق الداعية العنان لتفكيره، لمناجاة الله تعالى، والثناء عليه، وذكره، ودعائه، وحمده وشكره، بما يفتح الله عليه سبحانه في ذلك كله، ثم يناجيه في الطريق إلى المسجد ذهابا وإيابا، وقبيل النوم، وفي صلاة الليل، ولو ركعتين قبل الفجر، فإن لم يسطع طيلة الأسبوع، فلا تفوته ليلة الجمعة، ثم يعتاد على هذه المناجاة، كلما سنح له الوقت بليل أو نهار، فيكتب بذلك من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات.

❖ المبحث الحادي عشر :

الداعيـــــة ودعـــاء الله تعـالـــى

أولا : فضل الدعاء وأهميته

قال الله تعالى " وقال ربكم أدعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين " غافر 60

وقال الله سبحانه " فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون " غافر 13

وقال تعالى كذلك " أدعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين " الأعراف 54

وقال الرسول ﷺ " الدعاء هو العبادة " رواه أحمد

فالدعاء في القرآن الكريم يطلق فيراد به معنيين، وهما في الحقيقة معنى واحد ، والمعنيين هما الطلب والعبادة، وقد جمعهما الحديث فقال: الدعاء هو العبادة، ولننطلق من هذا الحديث الذي حصر مفهوم العبادة في الدعاء، أي أن كل عبادة يجب أن تتضمن دعاء، بل العبادة في تلك الأعمال هي الدعاء، وهذا المفهوم قد لخصه الله تعالى في سورة الفاتحة عند قوله سبحانه " إياك نعبد وإياك نستعين إهدنا الصراط المستقيم " فهذه الآية شملت المعنيين معا، المعنى الأول إياك نعبد، والمعنى الثاني إياك نستعين.

فإذا كان المعنى الأول للدعاء هو العبادة عموما، وهو غاية الخلق، فإن المقصود في هذا المبحث، هو المعنى الخاص للدعاء، الذي هو الطلب والاستعانة والاستغاثة، والدعاء بهذا المفهوم مطلوب ومرغب

فيه، وتكمن الحاجة إليه في كون الإنسان ضعيفا خلقة وقدرا، ويحتاج إلى من يقويه ويعضده، وبما أنه عبد لله تعالى، وليس في الوجود ملك حقيقة إلا هو، لأن حاجات الناس جميعا لا يقدر على تلبيتها إلا هو سبحانه، فالموت والحياة، والصحة والعافية، وغيرها من النعم، لا يملكها حقيقة إلا الله سبحانه وتعالى، فلذلك وجب على العبد الاستعانة به سبحانه، بل تلك وظيفته في هذه الحياة، التي خلق من أجلها، وكل ترك لها يجعله شاردا عن ربه، ملقيا بنفسه في أحضان عدوه إبليس لعنة الله عليه.

وهذه الحاجة الإنسانية إلى الدعاء والاستعانة بالله تعالى، تنقسم هي كذلك إلى قسمين، **الحاجة الأولى**: هي حاجة مادية إلى تلك الأشياء التي يطلبها من الله تعالى، والتي يعجز عن تحقيقها بمفرده، أو بمعونة غيره، والتي لا يحققها له إلا الله سبحانه وتعالى. **والحاجة الثانية**: هي حاجة نفسية مركبة في النفس البشرية، وهي فراغ روحي لا يسده إلا الدعاء، والاستغاثة بعظيم، ولا عظيم إلا الله سبحانه وتعالى، وهنا تكمن أهمية الدعاء، فلا حدود للحاجات التي يلبيها الله تعالى بالدعاء، استجابة وادخارا، ولا حدود للاطمئنان وراحة البال، التي يجدها من يدعو الله تعالى خاليا بمفرده، يحكي لربه مالا يحكي لغيره، فمسألة الناس مذلة، ومسألة الله تعالى عزة وكرامة.

ومسألة أخرى أراها في أهمية الدعاء، وهي بشارة للمؤمنين، والتي وعد الله تعالى بها أولياءه في الدنيا، حين قال سبحانه " ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة " يونس 64 هذه البشارة التي وعد الله تعالى بها أولياءه في الحياة الدنيا، هناك من قال أنها تكون عند الاحتضار، وهذا وارد، لكنني هنا أتحدث عن هذه البشارة في حياة المؤمن وهو حي يرزق، والولاية قد جعل الله تعالى لها شرطين في الآية، هما الإيمان والتقوى، ولله في خلقه شؤون، وهذه البشارة التي أتحدث عنها هنا، والتي تكون للمؤمن في الحياة الدنيا، هي صلته بربه سبحانه، والتي تنبعث من الصلاة وتنتهي بالدعاء، هذه العلاقة بين العبد وربه عز وجل، التي يغذيها المؤمن خمس مرات في اليوم، تختم بالبشارة التي هي إستجابة الدعاء.

كثيرا ما يتحدث الناس عن كرامات الأولياء التي يرفعونها إلى مقام المعجزات، ولا أرى كرامة أعظم من أن تكون لك علاقة بالله تعالى، حيث تدعوه فترى إستجابته لك على أرض الواقع، مما يدل على حوار وتفاعل بينك وبينه سبحانه، حيث تتيقن من وجوده سبحانه، وتتيقن من صفاته التي أخبر بها في القرآن الكريم، فينتقل إيمانك من إعتقاد ظني، إلى تجربة واقعية عملية تعيشها وتحياها، وتلك هي البشارة الموعودة إن شاء الله تعالى، وهذا ما أشار إليه الرسول ﷺ حين قال " أن تعبد الله كأنك تراه فإن

لم تكن تراه فإنه يراك " حديث جبريل. فاستجابة الدعاء يورث اليقين في القلب، وتتعضد به علاقة المؤمن بربه سبحانه، وإذا تكررت الاستجابات بعد تكرر الدعوات، فتلك هي البشارة بعينها، يستبشر بها المؤمن خيرا، ويستزيد فضلا، وهي كذلك كرامة من كرامات الأولياء، بعد أن كانت بشارة من البشارات.

وهذا الفضل لا أدعيه، وإنما أسعى للوصول إليه كغيري من المسلمين، حيث يحتاج إلى مجاهدة ومصابرة، وابتلاء وتمحيص، وكثرة دعاء، ومراقبة الاستجابة بعد الدعاء، والله تعالى الموفق والمعين، والهادي إلى سبيله المبين.

ثانيا : لمحة عن دعاء الأنبياء في القرآن الكريم

لا شك أن من يقرأ القرآن الكريم بتدبر وتمعن، سيلاحظ أنه مليء بأدعية الأنبياء والصالحين، وهذا لا غرابة فيه، لأنه كما أسلفنا، الدعاء هو العبادة، ولا أعبد لله تعالى من الأنبياء، فهم في المقدمة، يدلون الناس على ربهم عز وجل، وعلى السبل الموصلة إليه، والتي من أهمها الدعاء والإستعانة به سبحانه.

ومع ذكره تعالى لهذه الأدعية في القرآن الكريم، فإنه عز وجل، بوفائه لعباده الصالحين المصلحين، لم يترك رده على تلك الأدعية دون ذكر أو تعقيب، بل عقب على كل دعاء بقوله سبحانه " فاستجبنا له "، ووصف نفسه سبحانه بنعم المجيب، في قوله تعالى" ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون".

وإذا كانت هذه سيرة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهم أرشد الناس عقلا، وأكملهم ديانة وخلقا، وأعلمهم بالله تعالى، وقد سلكوا طريق الدعاء في علاقتهم بالله تعالى، فإنه أحرى بغيرهم من المؤمنين أن يتبعوهم، ويسلكوا مسلكهم، ليصلوا إلى الله تعالى، من خلال هذا الطريق الذي هو الدعاء.

وسنبين إن شاء الله تعالى فيما يلي، بعض أدعية الأنبياء عليهم السلام، المذكورة في القرآن الكريم، وهي كثيرة جدا، لكننا سنقتصر على بعضها فقط، ومن أراد الاستزادة فعليه بتدبر كتاب الله تعالى. وهذه النماذج هي:

- ✓ **نبي الله نوح عليه السلام**

قال تعالى " فدعا ربه أني مغلوب فانتصر " القمر، فقد دعا نوح عليه السلام، ربه أن ينجيه من قومه الذين كفروا به، فاستجاب الله تعالى له ونجاه وأهله ومن معه من المومنين، وأغرق أعداءه الذين كفروا به واستهزؤوا به عليه الصلاة والسلام.

✓ **أيوب عليه السلام**

قال تعالى " وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين " الأنبياء 82، فاستجاب الله تعالى له وشفاه من مرضه، ورد عليه أهله ومثلهم معهم رحمة منه سبحانه، وتذكرة لعباده، ثم أثنى عليه الله سبحانه في كتابه فقال " إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب " ص .43

✓ **لوط عليه السلام**

قال في دعائه كما حكى الله تعالى عنه " رب نجني وأهلي مما يعملون " الشعراء 169، فقد كان بين قوم فاسقين مجرمين، فدعا ربه أن ينجيه وأهله من عملهم، فاستجاب الله تعالى دعاءه فنجاه وأهله، وأهلك الظالمين المتجبرين، وكذلك يفعل سبحانه في كل زمان ومكان، ينجي عباده المؤمنين، ويهلك أعداءهم الفاسقين الظالمين.

✓ **سليمان عليه السلام**

قال تعالى " قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد" ص 34، فقد سأل الله تعالى ملكا لا يؤتيه لأحد من بعده، فاستجاب الله تعالى له فسخر له الرياح، وجعل جنوده من الجن والانس والطير، وعلمه منطق الحيوانات والطيور وغيرها من المخلوقات، إن ربي لغني كريم، فقط أدع ربك يستجب لك، فهو غني، لا تنقص خزائنه بالعطاء، وإنما يقول للشيء كن فيكون، وهو كريم جواد سبحانه، لا يبخل عن عباده ولا يقتر، تعالى عن ذلك سبحانه علوا كبيرا.

✓ **موسى عليه السلام**

قال تعالى عنه " قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا إنك كنت بنا بصيرا قال قد أوتيت سألك يا موسى" طه 24، فقد سأل الله تعالى في بداية دعوته دعاء مركبا جمع فيه بين تيسير أمره في الدعوة إلى الله تعالى، ومنحه موهبة الإفهام والبيان، بالإضافة إلى دعائه بإشراك أخيه هارون في أمر الدعوة ومؤازرته به، وقد استجاب الله تعالى دعاءه كله، وآتاه سؤله، وبعد أن دعا فرعون إلى الله تعالى لسنوات طويلة، فتجبر وطغى، وقال أنا ربكم الأعلى، عاد

موسى عليه السلام فدعا ربه على فرعون وقومه بهذا الدعاء، قال تعالى " وقال موسى ربنا إنك ءاتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يومنوا حتى يروا العذاب الاليم قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما " يونس 88، فاستجاب الله تعالى له، فلم يؤمن فرعون إلا بعد أن بدأ يغرق، حيث لا تنفع توبة ولا رجوع، فأهلكه الله تعالى وجنوده في اليم، وتلك عاقبة الظالمين والمستكبرين، المتألهين على عباد الرحمن، ذي العرش العظيم، والملك العميم، سبحانه وتعالى.

✓ **زكرياء عليه السلام**

قال تعالى عنه " وزكرياء إذ ندى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين" الأنبياء 88، فقد سأل زكرياء عليه السلام الولد، فاستجاب الله تعالى له فوهبه نبيا من أنبيائه، وصفيا من أصفيائه، وكذلك يفعل ربي سبحانه مع عباده المؤمنين، إذا أعطى، أدهش بالعطاء، وأبهر بالكرم، سبحانه وتعالى.

✓ **إبراهيم عليه السلام**

قال تعالى عنه " وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حليم" الصافات 100، فقد دعا إبراهيم عليه السلام ربه بالولد الصالح، فاستجاب الله تعالى له فبشره بإسماعيل، ثم إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب عليهم السلام جميعا، رحمة منه سبحانه به وبعباده المؤمنين، وهنا يعلمنا سيدنا إبراهيم عليه السلام، أنه حينما نسأل الله تعالى، ينبغي أن نسأله خيرما في دعائنا، فهو لم يسأل الله تعالى الولد فقط، بل سأله ولدا صالحا، وفي دعاء آخر قال عليه السلام، كما ذكر في القرآن، "رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي"، وقد علمنا رسولنا ﷺ هذه المسألة فقال " إذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس" صحيح.

✓ **يونس عليه السلام**

قال تعالى " وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المومنين " الأنبياء 86، فقد

دعا الله تعالى فاستجاب له ونجاه، واجتباه وأرسله، كما ذكر القرآن الكريم عنه عليه الصلاة والسلام، وعلى نبينا وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

فهذه لمحة عن بعض أدعية الأنبياء في القرآن، فقد ذكرت القليل منها فقط، وإلا فالقرآن كله مليء بأدعية الأنبياء والمرسلين، والصالحين والمتقين، يصعب استقصاؤها وحصرها، وفيما ذكرنا كفاية للبيان، ومن أراد الاستزادة فعليه بتدبر القرآن الكريم كله، فسيجد فيه ضالته، ويصل فيه إلى بغيته، وبالله التوفيق والمعونة.

ثالثا : مراحل الدعاء

✓ **مرحلة الدعاء**

قال الله تعالى " وقال ربكم أدعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين " غافر 60

وقال الله سبحانه كذلك " وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان فليستجيبوا لي وليومنوا بي لعلهم يرشدون " البقرة 185

من خلال هذه الآيات وغيرها، فإن الله تعالى حث المؤمنين على كثرة دعائه سبحانه، ووعدهم بالاستجابة، فما على المؤمن والداعية إلا الاكثار من الدعاء، لأن فضله عظيم، وأجره كبير، وهو الطريق الوحيد الذي يؤدي إلى تحقيق كلما يريده المؤمن ويتمناه في دنياه وآخرته، إذا مزج بالتوكل على الله تعالى، والصبر، وعدم الاستعجال، فليس هناك شيء لا يطلب من الله تعالى، وقد جاء عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، أنهم يسألون الله تعالى ملح الطعام، كما يسألونه الفردوس الأعلى، ومن آمن أنه لا حول ولا قوة إلا بالله تعالى، يدرك أنه لا سهل على الإنسان إلا ما جعله الله تعالى سهلا، ولا عظيم أمام قدرة الله تعالى، فالكل هين يسير، فلذلك على المؤمن الداعية أن يدعو الله تعالى في كل وقت وحين، وبكل ما يحتاجه، ويختلج في نفسه من الرغائب والأمنيات الدنيوية والأخروية، بشرط أن تكون هذه الدعوات، مما يظن به الخير له وللمسلمين أجمعين، وألا تكون في شيء من الشر أو الإهلاك، إلا على الظلمة والطواغيت، من أعداء الله تعالى، وأعداء الأمة والمؤمنين.

إن باب الدعاء، وسيلة يصل بها المؤمن والداعية إلى الله تعالى، في أقل زمان وأقصر طريق، فهو باب عظيم من أبواب العبادة لله تعالى، وقد أشرنا أن الأنبياء كلهم، كانوا يلازمون الدعاء في السراء والضراء، حتى قال الله تعالى عن زكرياء وزوجه وإبنهما يحيى عليهم السلام، قال سبحانه :" إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين" الأنبياء 89، فكذلك يجب على المؤمن والداعية أن يلازم الدعاء في كل أحواله، فلا يستصغر شيئا ولا يستعظمه، مادام يؤمن أنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

إن مما ينبغي ذكره هنا، أن الله تعالى أمر بالدعاء، ووعد بالإجابة، فلا ينبغي للداعية أن يستعجل، وإن كانت هذه صفة الإنسان إلا من رحم الله، قال تعالى" ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا" الاسراء 11، قال الرسول ﷺ " يستجاب لأحدكم ما لم يعجل: يقول قد دعوت ربي، فلم يستجب لي" متفق عليه، فالداعية حين يدعو الله تعالى، يجب عليه أن يوقن بالاجابة، في الوقت المناسب الذي يختاره له الله سبحانه، وألا يستعجل، فالله تعالى هو أعلم بمصلحته، ولا أدل على ذلك مما وقع للنبي ﷺ وغيره من الأنبياء من تأخير الإجابة إلى الوقت المناسب، فنبينا عليه الصلاة والسلام، دعا الله تعالى بعد عودته من الطائف بالدعاء المشهور، فلم يستجب له الله تعالى إلى بعد أربع سنين، حيث حقق له ما أراده من الطائف، في المدينة المنورة بالهجرة إليها، وإقامة الدولة الإسلامية منها، رغم أن الله تعالى في تلك اللحظة التي دعا فيها، خفف عنه سبحانه وأكرمه بمعجزة الإسراء والمعراج، ودخل إلى مكة بجوار مشرك، كل ذلك والنبي عليه السلام لم يستعجل، بل واصل العمل والدعاء والدعوة، وكذلك يعقوب عليه السلام غاب عنه يوسف سنين، ويوسف كذلك سجن لسنوات عليه السلام، وأيوب عليه السلام مرض لسنوات، وزكرياء عليه السلام الذي قال " ولم أكن بدعائك رب شقيا"، فالمطلوب إذن في الدعاء، الإلحاح وعدم الاستعجال، واليقين في الاستجابة بإذن علام الغيوب.

دون أن نغفل أن هناك أدعية لا تكاد تنتهي منها حتى يستجيبها الله تعالى بكرمه، وفضله ، وحسن تدبيره، فالأمر موكول إليه سبحانه يستجيب متى يشاء لمن يشاء، حسب ما تقتضيه مصلحة المؤمنين، التي يعلمها سبحانه دون غيره.

✓ **مرحلة ما بعد استجابة الدعاء**

قال الله تعالى " وإذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون " يونس 12

وقال تعالى كذلك" وإذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل" الزمر 9

يتبين لنا من خلال الآيتين أن المؤمن يجب عليه أن يراقب ربه سبحانه، وأن لا ينسى دعواته مهما طال به الزمان بين الدعاء والاستجابة، فكلما إستجاب الله تعالى له دعوة ولو بعد أمد طويل، تذكر لحظة دعائه وطلبه من الله سبحانه، وتذكر إلحاحه وألفاظ دعائه المختلفة من دعاء إلى دعاء، وعلم أن الله تعالى ما غفل عن دعائه، إنما عنده الأمور بآجال ومقادير، يصرفها كيف يشاء حسب مصلحة العبد المؤمن، وكلما إستجاب الله تعالى له دعوة، قال : هذا تأويل دعائي من قبل قد جعله ربي حقا، وتذكر أن هذه اللحظات بالذات، من أيام الله تعالى، التي تستوجب الحمد والشكر، والإقرار لله تعالى بالفضل والجميل، وهو القائل سبحانه " وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها " ابراهيم 36.

فلا ينبغي للمؤمن أن ينسى دعاءه مهما طال به الزمن، وإن من المعين على ذلك، كثرة الدعاء والإلحاح فيه، وانتظار الاستجابة باستمرار، مع النفس الطويل وعدم الاستعجال، مهما تأخرت الاستجابة، فإنها آتية لا محالة، أو يصرف عنه من السوء مثلها، أو تأجل إلى يوم الحساب فيأخذ أجرها، أو تستجاب حتى بعد رحيله عن هذه الدنيا، فما ظنك بما وكل إلى الحي الذي لا يموت، سبحانه في عليائه وكبريائه، المتفرد في عظمته وتدبيره.

✓ **مرحلة تثبيت الاستجابة**

بعد أن يستجيب الله تعالى دعاء الداعية والمؤمن، يحتاج إلى المحافظة على هذه النعمة العظيمة، فنعمة استجابة دعاء المؤمن من أعظم النعم التي يمن بها الله تعالى على أوليائه، ومن أسبابها الكسب الحلال. وللمحافظة على النعم التي إستجاب الله تعالى الدعاء بجلبها، لا بد من شكرها، وقد قال تعالى في سورة إبراهيم، " وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد"، فالشكر من مثبتات النعم، ومن مثبتاتها كذلك، الدعاء نفسه، حيث جاء عن دعاء النبي ﷺ أنه كان منه قوله " اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك" رواه مسلم، فهذا الدعاء يدعو فيه

المؤمن ربه سبحانه أن يديم عليه نعمه، وألا يزيلها عنه، فذلك من أسباب تثبيتها، بالإضافة إلى شكرها، وأداء حق الله تعالى فيها وحق عباده.

رابعا : دعوات لابد منها للداعية

✓ **الدعاء بتيسير أمره**

قال الله تعالى " أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين" العنكبوت 1

وقال تعالى كذلك " أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب" البقرة 212

من خلال الآيتين السابقتين يتبين لنا أن الإيمان والصلاح، ليس أمرا يسهل على الإنسان إدعاؤه، فقد ربطه الله تعالى بالابتلاء والتمحيص، وجعل دونه صدقا وإيمانا، وصبرا وتحملا، ولا يمكن أن يجتاز الإنسان هذه المراحل، من التمحيص والابتلاءات التي جعلها الله تعالى في طريق الحق، ليعلم الصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق، أقول لا يمكن أن يجتاز المؤمن هذه المراحل، إلا بتوفيق الله تعالى ومعونته، فالابتلاء لا محالة واقع، وهنا تكمن أهمية الدعاء بالتيسير، حيث يدعو الداعية أن ييسر الله تعالى أمره، وفي نظري ليس هناك دعوة يدعو بها المؤمن لدنياه أعظم من أن ييسر الله تعالى أمره، فيبلغه مبلغ الصالحين المتقين، بيسر وسهولة قدر طاقته وتحمله، وقد كان من دعاء الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، " ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين"، وقد امتن الله تعالى على نبيه محمد ﷺ فقال " ونيسرك لليسرى "، وقد ذكر الله تعالى أعمالا جعلها سببا لتيسيره أمور عباده حيث قال سبحانه" إن سعيكم لشتى فأما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى " سورة الليل.

فلابد للداعية أن يدعو الله تعالى بأن ييسر أمره وأمور عباده المؤمنين، فهذا الطريق ليس سهلا، بل يحتاج إلى صدق وتوكل على الله تعالى، حيث لا يثبت فيه المدعون، وإنما يثبت الصادقون المخلصون، ففي هذا الطريق، قتل الأنبياء، وأحرق أصحاب الأخدود، وعذب الصحابة، وأوذي العلماء المصلحون، مما يجعل الدعاء بالتيسير أمرا مهما لا يستغني عنه داعية، ولا يزهد فيه مصلح.

✓ **الدعاء بالتثبيت**

قال الله تعالى : " واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون" الأعراف 175

وقال سبحانه كذلك " ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن اصابه خير اطمأن به وإن اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين" الحج 11

فمما ينبغي للداعية والمؤمن أن يدعو الله تعالى به، التثبيت على الطريق، لأن المغريات كثيرة، والنفس ضعيفة، والشيطان على كل سبيل من سبل الغواية والضلالة، لكن المؤمن يستعين بالله تعالى، ويسأله الثبات على الحق، حتى يلقاه وهو عنه راض، وهو القائل سبحانه " ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم " النور 21، وقد كان من دعاء النبي ﷺ وهو من أولي العزم من الرسل " يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك " رواه الترمذي وقال حديث حسن وصححه الألباني.

فبعد أن يسأل الداعية ربه التيسير في أمره وأمر دعوته، لا بد من أن يجعل من دعائه له سبحانه، أن يثبته على طريق الحق والدعوة إليه حتى يلقاه، ويختم له على ذلك، فإذا سئل بين يديه سبحانه عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه،أجاب بأنه كان في الدعوة إلى الله تعالى، وابتغاء وجهه الكريم، والسعي إلى رضوانه سبحانه وتعالى، وهو سبحانه أعلم بخفايا الصدور، ومقاصد الأمور.

✓ **الدعاء بالولاية**

قال الله تعالى " ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم" يونس 64

فمما ينبغي للداعية، أن تكون همته عالية، فلا يرضى إلا بالقمة، وعوالي الأمور في الدنيا والآخرة، وبما أن النبوة قد ختمت بسيدنا محمد رسول الله ﷺ، فإن الدرجة الأدنى منها هي الولاية، وهي متاحة لكل مجتهد في طاعة ربه عز وجل، ولا يشترط لها إلا شرطين ذكرا في الآية، هما الإيمان والتقوى، وحسب درجتهما تكون درجة الولاية، أما عمل الأنبياء فهو يمارسه، ألا وهو الدعوة إلى الله تعالى، ونشر الولاء له سبحانه بين الناس، وهو خير الأعمال، ومن هنا تكمن أهمية دعاء الداعية ربه سبحانه، أن يجعله من

أوليائه وأصفيائه، وطريق ذلك هو الدعاء، ومن البشارات، إستجابة الدعوات، فلا أدل على اليقين في الله تعالى، من أن تدعوه فيستجيب لك، وترى ذلك في حياتك ودنياك، والفضل فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء، والله واسع عليم.

ولا شك أن العبد المؤمن، إذا اتخذه الله تعالى وليا من أوليائه، وصفيا من أصفيائه، فقد نال المراد، وحاز المبتغى، وحق له أن يقول ما قال حرام ابن ملحان رضي الله عنه: " فزت ورب الكعبة " البخاري وقد قال الله تعالى في الحديث القدسي " من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه " البخاري، ومن شعارات الأولياء في الحياة، قوله تعالى : " هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين " الملك 30.

- ✓ **الدعاء بالنظر إلى وجه الله الكريم في أعالي الجنان**

قال تعالى " واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه " الكهف 28

وقال تعالى كذلك " فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولائك هم المفلحون " الروم 37

من الدعوات التي يستحب للداعية الدعاء بها، وهي رأس الدعاء، وقمة المطلوب والمرغوب، ألا وهي الدعاء بأن يجعلنا الله وإياك من الناظرين إلى وجهه الكريم في الفردوس الأعلى، إنه ولي ذلك والقادر عليه، قال تعالى " وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة " جعلنا الله تعالى وإياكم منهم، بمنه وكرمه وفضله.

فبعد أن يدعو الداعية والمؤمن بأن يجعله الله تعالى من الناظرين إلى وجهه الكريم يوم القيامة، لابد له من الإخلاص في العمل في الدنيا، فلا يبتغي بعمله إلا هذا الهدف، وهو وجه الله تعالى، فلذلك دعوته تكون لله وبالله، وإلى الله سبحانه، لا شرقية ولا غربية، لا فلانية ولا علانية، لا شخصية ولا فلسفية، لا يبتغي بها شهرة ولا حظوة، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى.

✓ **الدعاء لدعوته**

من حق الدعوة على الداعية، أن يشملها بدعائه، فيدعو الله تعالى أن يبلغ دعوته إلى الآفاق، وإلى الأجيال اللاحقة، وقد دعا إبراهيم عليه السلام بذلك فقال " واجعل لي لسان صدق في الاخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم "، وأن يدعو الداعية الله تعالى كذلك، أن يرزقه من دعوته من عباده الصالحين المصلحين، وإمائه الصالحات المصلحات، فبالمصلحين تنتشر الدعوات، وتخلد الحسنات.

وحينما نتحدث هنا عن دعوة الداعية، فلا نقصد دعوة شاردة عن دعوة رسول الله ﷺ، بل نقصد الدعوات المجددة لها، التي تحيي ذكرى رسول الله ﷺ في القلوب، وتجدد تمسك الناس بالقرآن الكريم، وبيان الصادق الأمين، فقد اكتمل الدين، لكن نشره وإحياءه في القلوب، مجال للاجتهاد الدعوي، لمن أراد أن يترك الأثر في الحياة، ويرضي رب الأرض والسماوات، ويقتدي بإبراهيم عليه السلام، الذي قال الله تعالى في حقه، وفي حق غيره من الأنبياء في سورة الصافات " وتركنا عليه في الآخرين سلام على إبراهيم كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المومنين ".

فهذه الدعوات المذكورة، إنما ذكرت كنماذج لأعلى ما يمكن للداعية أن يدعو به، ودونها ما لا حصر له من الأدعية، وقد يفتح الله تعالى على عبد من عباده مالا يفتح على غيره من الدعاء، ولكل مؤمن حاجاته، يرفعها إلى ربه، وهو أعلم بعباده سبحانه.

غير أنما ينبغي معرفته هنا، أن تلك الأدعية المذكورة المختارة، لاينبغي أن تكون أماني، يدعو بها الإنسان دون أن يسعى إلى مقتضاها، ويجاهد نفسه لبلوغها، ويجتهد لتحقيقها قدر استطاعته، وقد قال تعالى " والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين" العنكبوت 69.

❖ المبحث الثاني عشر:

<u>الـداعـيـــــة وشكــر الله تعــالـــى</u>

أولا : أهمية شكر الله تعالى

سنتحدث إن شاء الله تعالى عن أهمية الشكر من منطلقين أساسين هما: أن الشكر غاية الله تعالى في خلق الإنسان، والمنطلق الثاني هو كون الشكر أمرا من أوامر الله تعالى لعباده المؤمنين، يجب عليهم طاعة ذلك الأمر وتنفيذه، من أجل نجاتهم وفلاحهم.

✓ **الشكر غاية الله تعالى في خلق الإنسان**

قال الله تعالى " هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا " الانسان 1

وقال سبحانه كذلك " وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد أن يذكر أو اراد شكورا " الفرقان 62

يتبين من خلال الآيتين أن الله سبحانه وتعالى لا يريد من الانسان أي شيء إلا شكر نعمته، والاعتراف له سبحانه بفضله الذي أعطاه إياه من دون مقابل، وهذا الشكر المطلوب من المؤمن، يتخذ أشكالا متعددة كما سنبين لاحقا إن شاء الله تعالى، ومن أهمها العمل والعبادة، ولذلك قيل العبادة غاية الخلق، وهنا نقول أن الشكر غاية الخلق، لأن العبادة إنما هي صورة من صور شكر الله تعالى بالعمل، فالله تعالى لا يريد منا إلا أن نشكره سبحانه، ولذلك جعل عباده في الآية الأولى صنفين، إما شكور وإما كفور، ولقد علم إبليس لعنة الله عليه هذا الأمر، ولذلك قال كما حكى عنه القرآن: " قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين " الأعراف 16، فقد جعل لعنة الله عليه هدفه الأساسي، صرف الناس عن شكر الله تعالى، فلذا وجب على المؤمن والداعية أن يتفطن لذلك، ويسعى إلى شكر الله تعالى، ليرضي ربه، ويغيظ عدوه، وينجو بنفسه.

✓ **الشكر أمر من أوامر الله تعالى لعباده المؤمنين**

قال الله تعالى " فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون " البقرة 151

وقال سبحانه كذلك " يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون " البقرة 171

فالشكر إذن من أوامر الله تعالى لعباده، وهنا تكمن أهميته، لأنه أمر، والأمر يكتسب أهميته من الآمر، فالآمر عظيم، بل لا أعظم، ولا أكرم، ولا أجود منه سبحانه، والأمر كما قرر الأصوليون للوجوب، مالم تصرفه قرينة، وهنا في موضوع الشكر، تؤكد القرائن كلها أنه للوجوب، بل لا طريق غيره إلا الضلال والهلاك، فإما شاكر وإما كفور، ولا بد للمؤمن إن أراد النجاة والفلاح في الدارين، أن

يطيع ربه ويشكر نعمه، فهو الذي لا تنفد خزائنه، ولا ينقطع عطاؤه، فهو غني كريم سبحانه، يزيد الشاكرين، ويمهل الكافرين إلى حين، فإما تائبين وإما هالكين.

ثانيا : نماذج من شكر الأنبياء عليهم السلام

✓ **نوح عليه السلام**

قال الله تعالى " ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا" الاسراء 3

من الأنبياء الذين أثنى الله تعالى عليهم في القرآن بصفة الشكر ، نوح عليه السلام، حيث وصفه الله سبحانه بكونه عبدا شكورا، والأنبياء أوفياء، ونوح عليه السلام قد رزقه الله تعالى نعما كثيرة، في مقدمتها النبوة والرسالة، وكذلك عمره الله تعالى عمرا طويلا، ونجاه من القوم الكافرين بالطوفان، وجعل ذريته هم الباقين، سلام على نوح في العالمين، فمن وفائه عليه السلام لربه سبحانه، أنه كان بحق كما وصفه الله تعالى، عبدا شكورا، وقد ترك عليه الله تعالى في الآخرين، فجعله قدوة لهم، فهل من مقتد يا عبد الله، هل ممن يرجوا أن يكون عبدا شكورا، وإنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل مرئ ما نوى.

✓ **يوسف عليه السلام**

قال الله تعالى عنه " ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث فاطر السماوات والارض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين " يوسف 100

فيوسف عليه السلام، من النماذج الرائعة التي قدمها الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين في موضوع شكر نعمه، ومن الملاحظ في الآيتين السابقتين، أن يوسف عليه السلام، بعد أن أتم الله تعالى عليه النعمة، جعل يعدد هذه النعم، وينسبها لله تعالى، ويتبرأ من حوله وقوته، ويثني على ربه خيرا، فهذا شكر باللسان، واعتراف بالقلب للمنعم عز وجل، بعد أن شكر هذه النعم بعمله، خدمة لدينه، وأداء لحق ربه عز وجل.

✓ **سليمان عليه السلام**

قال الله تعالى " وقال رب أوزعني أن اشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه و ادخلني برحمتك في عبادك الصالحين " النمل 19

فسليمان عليه السلام، دعا الله تعالى أن يعينه على شكر نعمه عليه، وعلى والديه، وبأمور أخرى مذكورة في الآية، وهذا ما يجب أن يقتدي به الداعية والمؤمن، وهو الدعاء بأن يجعلنا الله تعالى من الشاكرين لنعمائه، الذاكرين لآلائه، وقد استجاب الله تعالى دعاء نبيه سليمان عليه السلام، وذكر ذلك بعد هذه الآية في نفس السورة، حين أوتي بعرش بلقيس أمامه، ف " قال هذا من فضل ربي ليبلوني آشكر أم اكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم " النمل 41.

✓ **إبراهيم عليه السلام**

قال الله تعالى " إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه إجتباه وهداه إلى صراط مستقيم " النحل 121

فإبراهيم عليه السلام من عباد الله الشاكرين، وهو القائل " الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء " ابراهيم 41، وقد وصفه الله تعالى بأنه شاكر لأنعمه، وهذه شهادة من الله تعالى في حقه، وتزكية له، وكلما كانت نعم الله تعالى عظيمة على العبد الصالح، كان شكره عظيما، وإبراهيم عليه السلام من أولي العزم من الرسل، وقد اتخذه الله تعالى خليلا، فلا شك أن شكره لنعم ربه كان عظيما، حتى جعله الله تعالى للناس قدوة وإماما.

✓ **محمد رسول الله ﷺ**

فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أن نبي الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لمَ تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! قال: " أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا " متفق عليه.

فيتبين من الحديث أن النبي ﷺ كان شاكر لربه عز وجل بالقول والعمل، فكان يأتي من الأعمال ما لا يطيقه غيره، كما هو مبين في الحديث، وقد كان شكره عليه الصلاة والسلام واضحا جليا يوم فتح مكة، بعد أن أتم الله عليه النعمة، ونصره وأعزه، حيث عفا عن المشركين، فقال " إذهبوا فأنتم الطلقاء " بعد

أن حاربوه لعشرين سنة، وقتلوا أصحابه، وآذوه أذى شديدا، فكما أن المصائب لا تزيده إلا صبرا، فكذلك النعم لا تزيده إلا شكرا، بأبي هو وأمي ﷺ، وقد تمثل أمر ربه عز وجل حين قال له " بل الله فاعبد وكن من الشاكرين " الزمر 63. فكان بحق أشكر الشاكرين، أذكر الذاكرين، وصدق فيه قول البصيري رحمه الله :

رَحْمَةٌ كُلُّهُ وَحَزْمٌ وَعَزْمٌ *** وَوَقَارٌ وَعِصْمَةٌ وَحَيَاءُ

لاَتَحُلُّ الْبَأْسَاءُ مِنْهُ عُرَى الصَّبْرِ*** وَلاَ تَسْتَخِفُّهُ السَّرَّاءُ

كَرُمَتْ نَفْسُهُ فَمَا يَخْطُرُ السُّوءُ *** عَلَى قَلْبِهِ وَلاَ الْفَحْشَاءُ

عَظُمَتْ نِعْمَةُ الإِلَهِ عَلَيْهِ *** فَاسْتُقِلَّتْ لِذِكْرِهِ الْعُظَمَاءُ

فصلى الله عليـه وسلم ما ذكره الذاكرون، و غفل عن ذكره الغافلون.

✓ **العبد المؤمن في سن الأربعين**

قال الله تعالى " حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن اشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن اعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريني إني تبت إليك وإني من المسلمين أولائك الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون " الأحقاف 15.

فهنا ذكر الله تعالى أن سنته في عباده المؤمنين، والتي يجب أن يسير عليها كل مؤمن صالح، أنه حينما يبلغ أربعين سنة، يكون قد أنعم الله تعالى عليه بنعم لا تعد ولا تحصى، وفي هذا السن بالذات، بعد أن استوى، وكمل عقله وبدنه، وخبر الحياة، ورأى نصر الله تعالى للمؤمنين، وإهلاكه للظالمين، وخبر بعين بصيرته سنن الله تعالى في خلقه، وقطع أشواطا في السير إلى الله تعالى، هنا ينظر إلى خلفه من أيامه الخالية، فيتذكر نعم الله تعالى عليه، فيشكر الله سبحانه على ما أنعم به عليه، من صنوف النعم، وألوان الفضل والكرم، ثم ينظر إلى ما هو آت في مستقبله، من شيب وهرم، ووفاة وبعث ونشور، وجنة عرضها السماوات والأرض، فيسأل الله تعالى أن يثبته فيما بقي من حياته، ويلحق به ذريته في الشكر والصلاح والتقوى، فحق له أن يتقبل عمله، وتبدل سيئاته حسنات.

ثالثا : كيفية الشكر

✓ **الشكر بالعمل**

قال الله تعالى " إعملوا آل داوود شكرا وقليل من عبادي الشكور " سبأ 13

من أبواب شكر الله تعالى، العمل الصالح، فبالعمل يعبر المؤمن عن شكره لنعم الله تعالى، وقد مر بنا حديث رسول الله ﷺ " أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا " فقد إعتبر عليه الصلاة والسلام قيامه لليل، من باب شكر الله تعالى، وفي الآية السابقة أمر الله تعالى آل داوود، ومن خلالهم جميع المؤمنين بالعمل شكرا لله تعالى على إنعامه وتفضله، ولا فضل يوازي فضل الله تعالى على خلقه، وعليه فيجب أن يكون شكر الله تعالى أعظم من شكر غيرها، مهما بلغ فضله، فإن فضل الله تعالى أعظم، وعطاياه أكرم.

✓ **الشكر بالقول**

لا شك أن هذا النوع من الشكر، هو المتبادر إلى الذهن عند ذكر مفهوم الشكر، وهو نوع من شكر نعم الله تعالى، ألا وهو الشكر باللسان، وقد سن النبي ﷺ شكر الله تعالى عند النعم، كالطعام والشراب واللباس، وعند النوم، وعند كل نعمة، بل إن الحمد والشكر دأب المؤمنين في كل صلاة، فهم يقأون بالحمد لله رب العالمين، وذلك في كل يوم وليلة، وعليه فلابد للداعية والمؤمن، أن يكون كثير الشكر لله تعالى، حتى يكتب من الشاكرين، فيكون بحق عبدا شكورا، إقتداء بالأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.

✓ **الشكر بالقلب**

من أنواع الشكر، شكر المؤمن ربه بقلبه، أي أن يعترف ويقر بقلبه، بأن النعم التي يتنعم بها، من عند ربه سبحانه وتعالى، فيذكر الله تعالى في نفسه، ويشكره بقلبه، فالقلب الشاكر، هو القلب اليقظ، الذي يسير إلى الله تعالى على بصيرة، وينظر إلى نعم الله تعالى عليه الظاهرة والباطنة، فيحرص ألا تفوته نعمة منحه الله تعالى إياها، إلا وتوقف عندها، وتذكر يوم لم تكن عنده، وأنما يتنعم به الآن، فضل من الله تعالى ساقه له، والقلب الشاكر، عنده لكل نعمة وقفة، ولكل نعمة شكر خاص، طبعا لما يمكن للإنسان إدراكه، من النعم الظاهرة الجلية، وإلا فنعم الله تعالى لا تعد ولا تحصى، ظاهرة وخفية.

رابعا : جزاء الشاكرين

✓ **الزيادة في النعم**

قال الله تعالى " وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد " إبراهيم 9

فقد وعد الله تعالى عباده في الآية، بزيادة النعم كلما تم شكرها والاعتراف لله تعالى بفضلها، وعليه فكلما إزداد المؤمن شكرا، إزدادت عليه نعم الله تعالى، سواء من جنسها أو مختلفة عنها، فالشكر إذن مثبت للنعم، بل مؤذن بزيادتها ونمائها، وفي المقابل، فإن كفر النعم، مؤذن بزاولها ونهايتها، ومؤذن كذلك بعقاب الله تعالى الشديد، فالله تعالى لا يريد منا مقابل إنعامه إلا شكره، لأن ذلك الشكر، في مصلحتنا نحن، والله تعالى غني عنا، ونحن الفقراء إليه سبحانه، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين، لا تنقص خزائنه بالعطاء فهو غني، ولا يندم سبحانه على عطائه وإن كفر فهو سخي.

✓ **الحفظ والنجاة**

قال الله تعالى " ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما " النساء 146

وقال سبحانه كذلك " إلا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر " القمر 35

وقال الله تعالى كذلك " وسيجزي الله الشاكرين " ال عمران 144

فعاقبة الشاكرين كما ورد في الآيات السابقة، هي النجاة والحفظ في الدنيا والآخر، النجاة من أكدار الدنيا وعذاب الآخرة، وكما أسلفنا، فإن الشكر بكل أنواعه، هو غاية خلق الإنسان، ومن ضمنه العمل عبادة لله تعالى، ومعاملات مع خلقه، وحق لمن كان كل عمله شكر لله تعالى أن ينجيه، ويكرمه ويعطيه، ويجازيه بالجنة، كذلك يجزي الله الشاكرين، لهم فيها ما يشاؤون خالدين، كان على ربك وعدا مسؤولا.

ولأهمية الشكر في المنظومة الإسلامية، جعلت السنة النبوية الشريفة، الدعاء بالإعانة عليه، من تحسينيات الصلاة، حيث يدعو المؤمن دبر كل صلاة بهذا الدعاء " اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك " كما قال النبي ﷺ لمعاذ ومن ورائه لأمته، والحديث رواه ابو داوود بإسناد صحيح.

فلابد للمؤمن والداعية، أن يشكر ربه سبحانه على كل نعمه، ما علم منها وما لم يعلم، وبكل أنواع الشكر، قولا وعملا ووجدانا، عسى الله تعالى أن يرضى عنه فيكرمه، ويرفعه ويجتبيه، ومن

شكر فإنما يشكر لنفسه، ومن كفر فإن ربي غني كريم، غني لا تنفد خزائنه، كريم لا يندم على عطائه، ولله الأمر من قبل ومن بعد، والعاقبة للمتقين.

❖ ***وفـــي الختـــــام:***

فهذه بعض المثبتات التي إن تمسكنا بها، ثبتنا الله تعالى على طريقه المستقيم، حتى نلقاه وهو عنا راض، والتي حاولت التأصيل لها من خلال القرآن الكريم، وسنة النبي ﷺ، فما كان من ذلك موفقا فمن الله تعالى، وما كان غير ذلك فمن العجز والتقصير، فنسأل الله تعالى أن يتجاوز عنا وعن جميع المسلمين، كما نسأله سبحانه أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وأن يلهمنا السداد والرشاد، وهو تعالى من وراء القصد، وهو يهدي السبيل. قال الله تعالى " إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب " سورة هود 88.

❖ **المحتويات :**

- تمهيد 02
- الداعية والصلاة 03
- الداعية والقرآن 05
- الداعية والعلوم الشرعية 08
- الداعية ودعوته 11
- الداعية والوظيفة الدعوية 14
- الداعية والقدوة الدعوية 17
- الداعية والإنفاق في سبيل الله تعالى 18
- الداعية والتوكل على الله تعالى 20
- الداعية وذكر الله تعالى ..... 26.
- الداعية ومناجاة الله تعالى 29
- الداعية ودعاء الله تعالى 33
- الداعية وشكر الله تعالى 44
- خاتمة 51
- فهرس المحتويات 51

تم بحمد الله تعالى.